-حِينَ أعُودُ لِلوَرَاءِ...

تأليف\عمر محمد أحمد

تحقيق\أحمد محجوب غراب

obeikandl.com

obeikandl.com

حين أعود للوراء... تأتيني صور من الماضي.
أطياف ذكريات قد صارت حكايات.
تأتي ثم تمضي...
أنظر بعيون أخرى...قد تغيرت الألوان...
تحدثني تعلمني..
...أن ما قد كان كان.
يازمان سأرسمك في النسيان زهور بستان..
تتفتح عندما يأتي الأوان ...
يا زمان سوف أكتب الدموع و الأحزان ...
في كتاب ليس له عنوان ...
لن أعود للوراء لن يكون لي معه لقاء
لن أعود للوراء لن أعود للوراء
لن أعود للوراء لن يكون لي معه لقاء
لن أعود للوراء لن أعود للوراء

(حين أعود للوراء-رشا رزق)

obeikandl.com

مقدمة مملة
(لا بد منها مع إني أكره المقدمات)

يوم سيء أليس كذلك؟ هناك حادثة سير و هذا معناه عمل روتيني كثير و إشغال أماكن عديدة في الثلاجة،ثم نجد السائق -الذي ينجو دائماً بمعجزة- لا يكاد يرى من تأثير المخدرات يقسم زوراً إنه لا يتعاطى أي شيء و إن التحليلات كاذبة،و عندما يشدد المقدم المجتهد شريف -لا أدري لماذا يكون أسماء ضباط الشرطة المجتهدين دائماً يكون على هذه الصيغة الجديدة شريف، هاني،شوقي،رائف.....إلخ. كأن هناك اتفاق مسبق بين أبائهم- قبضته عليه ينهار و يعترف أنه تعاطى شيئاً لزوم (المزاج و الروقان) و تراه ينظر حوله كالحيوان الضال،تلك النظرة التي يحاول أن يستتر خلفها كل المجرمين،تلك النظرة تقول لك "أنا طيب القلب و في ظروف أفضل لم أكن لأفعل ذلك" أوشك أن أصدقك يا برعي" -غالباً هذا هو اسمك- لكن للأسف عندما أنظر إلي عين ميتة لفتاة في السابعة من عمرها تقبع في ثلاجتي بدلاً من أن تكون في مدرستها الابتدائية فأنا لا أستطيع أن أشفق عليك أبداً،أقفل الثلاجة و أنتظر كي يأتي والدها الذي سيكون أشبه بكيس مليء بالأحجار ،متماسك خارجياً محطم داخلياً،الحمدلله أن أمها لن تفجع فيها،فقد أقفلت الثلاجة عليها هي أيضاً منذ قليل!!

أرتشف المزيد من القهوة و أشعر بالألم في ساقي اليسرى،فأخرج علبة المسكن و أبتلع قرص،هذا الدواء يلازمني هو و العرج و الألم من طفولتي عندما أصبت في حادثة مماثلة،كنت في عمرك صغيرتي

الموجودة في الجنة لكني للأسف لم أصعد هناك قبلك لكنني حملت عصا أتوكأ عليها في الأرض،بالتأكيد الجنة أفضل يا صغيرتي من قراءة كتب الفلسفة و المنطق و التشريح،ثم القراءة في علم الجريمة،ثم تعلم لغات مختلفة،ثم حل قضايا جنائية بداية من مراهقتي،لكن هناك ما أريد توضيحه،أنا لا أسعى للجريمة لكنها تأتيني و تقول : "حلني!" لا أدري إن كنت منحوس أو محظوظ!!!

من أنا؟ أنا أدعى أحمد محجوب غراب،طبيب شرعي،مر على مولدي ٢٧ خريفاً،لماذا الطب الشرعي؟ لأن الطبيب الشرعي هو من يعرف كل شيء و يفعل كل شيء،طبيب الباطنة يشخص بحذر دون أن يرى أعضاء المريض و الجراح يجب أن يكون دقيقاً و إلا قتل المريض،أما أنا فأستطيع أن أخرج أحشاء المتوفى و أدرسها و تشخيصي دائماً يكون صحيح ١٠٠%.

لدي دكتوراه أيضاً في الباثولوجي "علم الأمراض".

لم أكمل دراستي للطب في مصر،فبعد السنة الرابعة استطعت السفر في منحة إلي ألمانيا و أكملت دراستي هناك،و قبل أن تقفز لرأسك تلك الفكرة المجنونة إنني برجوازي سأقول لك إنني أرستقراطي و لست برجوازياً،و هناك فارق شاسع!

ما كان اسم الكتاب؟ نعم! (حين أعود للوراء...) هذا اسم أحد أغاني المبدعة رشا رزق،لكنني سأعود للوراء حرفياً كي تعرفوا من أنا،رحلة قصيرة مع بعض القضايا التي حللتها و أنا صغير السن نسبياً،أحداث مرت عليها سنوات،بعضها بعيد و بعضها قريب،لكن كلها من الماضي،لا تبالوا ببرد الثلاجة إنها باردة على الدوام،و لا تخافوا من

تلك الجثة على طاولة التشريح فالخوف ليس من الأموات بل من الأحياء
و دعونا نبدأ!

د\أحمد محجوب غراب

رسمياً طبيب شرعي في مشرحة كوم الدكة-الأسكندرية

فعلياً محقق يكشف أسرار الجرائم

obeikandl.com

القصة الأولى:جثة في الزقاق.

(بالطبع يجب القبض على المجرم لكنني أشجع اليونايتد منذ كنت طفلا صغيراً)

أرجوكم لا تقولوا لي أن هذا العنوان مسروق من رواية أجاثا كريستي (جثة في المكتبة)،إني أسمع هذا التعليق كل ست ساعات كأنه جرعة مضاد حيوي،أولاً الكاتب هو من يختار العنوان و ليس أنا. ثانياً لن يفكر في سرقة أجاثا كريستي،فالسرقة منها كمن حاول أن يقتبس من الشمس شعلة.

دعونا من هذا و سأحكي القصة،كان هذا في الصيف بالطبع عندما استخرج أبي بطاقة عضوية مكتبة النشئ بمكتبة الأسكندرية لي و أعطاها لي قائلاً:
-ها هو الاشتراك يا أحمد.

-شكراً يا أبي.

خرجت أنا و والدي من المكتبة الرئيسية وقال لي الكلام المعتاد أنني مثير للمتاعب أينما حللت مثل (بعيص) -الذي لا أدري من هو حقاً- و عن أن أعتني بنفسي و لا أتسبب في المشاكل،وافترقنا فصعدت السلم معتمدا على العصا وحاجز السلم،كنت أكره المصاعد،حتى وصلت الي باب المكتبة الذي يشبه باب تذاكر المترو فأعطيت بطاقتي للشاب الواقف عليها فمسح البطاقة على الخلية،فاصدرت صوتا رفيعاً مزعجاً وعبرت الحاجز ودخلت الي المكتبة،وتوجهت نحو قسم الروايات

وانتقيت رواية لأرسين لوبين وجلست في كرسي وحيد وبدأت في القراءة،بعد نصف ساعة كنت قد اندمجت في القصة مع سخرية لوبين الرائعة و هو يقول للمفتش جانيمار عن ثروته التي جمعها بالنصب و الإحتيال:
"تباً أين ذهب لقد كان هنا الآن!"
بالطبع لم يكن هذا لوبين،كان هذا شاباً قصير القامة أكرت الشعر،كان يبحث حوله بعصبية،فقلت له:

-ما بك؟

-لقد فقدت قلمي!

-هل جربت البحث عنه خلف أذنك مثلاً؟

وضع يده على أذنه ففوجئ بالقلم،فالتقطه و قال:

-أنا آسف! يالغبائي!

-يحدث مع كثير منا،أنا أحمد.

-و أنا علي.

كان الفتى قارئاً من الدرجة الأولى،و تناقشنا فيما أقرأ ثم تشعب بنا الحديث فتكلمنا عن الأدب عموماً،كنت أقول له:

-صدقني يا علي، الأفضل تحكيم العقل لا العاطفة أثناء التأليف.

سمعت صوت ناعماً:هذا بالنسبة لك!

obeikandl.com

نظرت فوجدتها فتاة سوداء الشعر،أنيقة الملابس،رحب بها علي و قدمني إليها على إنها إحدى صديقاته،قالت الفتاة و هي تمد يدها لتصافحني:

-اسمي يارا عبدالكريم.

حنيت رأسي له و قلت:أحمد محجوب غراب! و أنا لا أصافح الفتيات.

ظهر الامتعاض على وجهها لثانية ثم قالت مغيرة الموضوع:

-كنت تقول إن العقل لا العاطفة تحكم الأعمال الأدبية،لكن هذا خطأ للعاطفة دور كبير.

كنت أحمقاً وقتها،و متعجلاً،تعلمت التريث في أحكامي فيما بعد،قلت بتهور:

-لا! لو لاحظتي أن معظم الأعمال و المؤلفات المبنية على العاطفة هشة جداً!

قالت بجرأة أكسبتها إياها الهرمونات و شعارات النسوية المنتشرة وقتئذ:

-هذا بالنسبة لك! هل تعلم إن من يكره شيء و يحاول أن يتجنبه يكون خائفاً و معقداً منه؟!

في هذه الأحوال،الانسحاب من الحوار فضيلة،و لابد أن يكون انسحاب يدعي الحكمة،سمة هذا السن في ادعاء العمق و الحكمة و كبر العمر العقلي،قلت ضاحكاً:

-أنت محقة فأنا أعرف نفسي،لا توجد فتاة ستحب شاب في الخمسين من عمره إن فهمت قصدي!

قالت معتذرة في حرج : أنا آسفة لم أكن أقصد.

أشحت بيدي: لا مشكلة،بعد الحادثة بسنتين فقط تعودت على الموضوع ،إنها بالنسبة لي مثل الفيلم الرومانسي المأسوي،في أول مشاهدة أبكي و بعد خمس مرات مشاهدة أنام في نصفه من الملل.

قال علي :

-لقد مللت الجلوس هنا،ما رأيكم أن نذهب إلي (المكتبخانة)؟

أنا:الـ.....ماذا؟!

يارا:إنه مقهى مثقفين في المنشية.

رددت ساخراً: إذاً هناك إضاءة ضعيفة و قهوة رديئة المذاق أشبه بالوحل و عشاق من ذوي العيون الباكية و موسيقى ريم بنا و مشروع ليلى و منير.

قال علي :هل ذهبت هناك من قبل؟

-لا لكني أعرف لأنني عبقري!

قالت يارا:هل ستذهبون أم لا؟

قلت :ثانية واحدة! هل يوجد (مينيمام تشارج)*؟

هذا سؤال طبيعي،أبي ليس مليونيراً.

يارا: لا! فلنذهب!

توجهنا جميعا الى المقهى و كان في الطابق الأرضي من مبنى كبير و دخلنا و كان بالفعل كما وصفته و جلسنا و جاء إلينا النادل و طلب علي و يارا نسكافيه أما أنا فطلبت شاياً.

قالت يارا:شاي؟ يبدو إنك لست من عشاق السهر ولا ترهق عقلك كثيراً في التفكير.

قلت بسماجة: في الحقيقة لا فارق فكلاهما من المنبهات،أما عقلي فلا ينتظر القهوة كي يعمل فهو يعمل ٧\٢٤ و الحمد لله! في الحقيقة إن تقسيم الناس لعميق مثقف أو غير عميق سطحي أصبح شيئاً سخيفاً ! ما المشكلة لو قرأت لأجاثا كريستي و توفيق الحكيم و لم اقرأ لأحلام مستغانمي -و بالمناسبة رواياتها سخيفة-؟؟** ما المشكلة لو فضلت شعر أبو القاسم الشابي على نزار قباني -و بالمناسبة أشعاره رقيعة- ؟؟ ما المشكلة لو كنت لا أسمع منير و لا مشروع ليلى ؟؟ ما المشكلة لو كنت متابعاً لكرة القدم -و بالمناسبة أنا أعشق مانشستر يونايتد- ؟؟ ما المشكلة لو ذهبت إلي مقهى بلدي لكي أتابع المباراة و تركت مقهى للمثقفين - لأني سأنصرف فاليونايتد سيلعب أمام الريال- ؟؟ الخلاصة هي أن الثقافة و العمق ليس مظهراً و لا مقهى و لا رواية لا أفهم منها أي شيء و لا كلام فارغ أكتبه بمناسبة و من غير مناسبة!

العقاد لم يتعد المرحلة الابتدائية و توفيق الحكيم كان مجرد وكيل نيابة في الأرياف و طه حسين كان طالباً أزهرياً فقيراً و كفيفاً و المازني لم يستطع من فقره أن يلتحق بكلية هندسة ، إذاً فالثقافة هي قدرتك على ترجمة العلم و فهمه و ليست مجرد مظهر فارغ و العمق أن تستطيع أن ترى الأشياء بشكلها الحقيقي دون أن تنخدع و ليست كوبي قهوة و أغنية لفيروز.

بعد هذه الجملة عم علينا فترة صمت طويلة لم يقطعها سوى قولي متألماً و أن أخرج علبة المسكن وابتلع منها قرص:

-أنا أتشاءم بهذا الألم، أشعر دائماً أنه نذير لي من شيء خطير سيحدث و....

-آااه

قطعت تلك الصرخة العالية النسائية الآتية من الباب الخلفي للمقهى الهدوء فقلت و أنا أقوم:

-و كالعادة أنا محق،فلنر ما حدث!

كنا الأقرب للباب لحسن الحظ فأسرعنا نحوه و فتحه علي ومن ورائنا رواد المقهى و عندما رأينا المنظر فزعت يارا وغطت وجهها بيديها،كانت هناك فتاة غارقة في دمائها أرضاً وقد زينت رقبتها بفتحة مستقيمة أفقية أحدثها سكين حاد

***: minimum chargeهي عبارة عن (فردة) يأخذها المقهى بدون أي طلبات غتاتة و سماجة و تتراوح من ٣٥ الى ٥٠ جنيه و حسبي الله و نعم الوكيل!**

****هذه آراء أحمد محجوب غراب و هو مسئول عنها**

obeikandl.com

تقدمت من الجثة قائلاً :فليبلغ أحدكم الشرطة!

طلبت من النادل كيسين بلاستيكيين و ارتديتهما في يدي و بدأت في فحص الجثة،كانت جرأتي قد ألجمت التعليقات الممكنة.

كانت الجثة لا تزال دافئة فاسترجعت معلوماتي التي قرأتها في كتب التشريح و قلت:

- الجثة لا زالت دافئة إذاً فهي قتلت خلال ساعتين.

قال نادل : لكني أخرجت القمامة من ساعة إلا ربع و لم أرى شيئاً مريباً.

-حسناً فقد قل المدى، الوفاة سببها قطع في شرايين و اوردة الرقبة،الذبح كان من الوراء،الجرح بدأ من الناحية اليمنى و به تعرج بأطرافه، القاتل أعسر، و يستخدم سكين متعرج النصل،هناك جلد و دم تحت أظافر الضحية و هذا يعني إنها خدشته.

ثم نظرت الى الارض و تأملت آثار الدم و قلت:

القاتل كان يرتدي مشمع.-

-كيف عرفت؟

-من شكل نقاط الدم المقوس!

ثم وصلت الى برميل مملوء بالمياه و قلت:

-و كي اثبت لكم بداخل البرميل مشمع على شكل معطف و قناع مطاطي به آثار خدش و قفازين مطاطيين وضعوا في المياه كي تعدم البصمات و الدم،حتى لو فحصهم المعمل الجنائي لن يستفيد منهم،القاتل ذكي جداً و لم يترك وراءه أي دليل.

ثم نظرت في ساعتي و علمت أن هذا الوغد حقير فعلاً!!! لقد فاتتني المباراة!!!

***

وصلت الشرطة و أبعدت الجمهور المحيط بالجثة و أقامت كردون حولها و قام رجال المعمل الجنائي ببدء الفحص و في نهاية ذلك الشارع نصف المغلق الذي ارتكبت فيه الجريمة وقفت متكئاً على عصاي و كانت يارا معي بينما قرر علي أن يعود لمنزله،كنت أحاول أن أجد أي حل للقضية لكني لم أجد فقلت:

-ياله من وغد!

يارا : ماذا؟

-أي مجرم يرتكب خطأ أو يترك أثراً وراءه،هذه قاعدة معروفة،لكن هذا الوغد عمل حساب لكل شيء !

- هذه ليست مشكلتنا الآن يا أحمد،إنها من اختصاص الشرطة.

-لا! سأحل هذه القضية و لن أتراجع،ثم إن هذا الوغد فوت علي مباراة اليونايتد و أنا لن أسامحه على ذلك!

قالت باستخفاف: هذا ما يهمك؟ مباراة اليونايتد؟

-بالطبع يجب القبض على المجرم لكنني أشجع اليونايتد منذ كنت طفلا صغيراً!

نظرت إلي يارا باستخفاف فقلت لها :

-لا تستخفي بي! هؤلاء اللاعبين يمارسون نوعاً من الفن في الملعب..... لكن ما هذا؟

كان أقول جملتي الأخيرة و أنا أشير إلى الأعلى عندما جذب انتباهي غباراً لامعاً يسقط من نافذة الطابق الثاني ثم نظرت إلى يارا قائلاً :

- ماذا يوجد بالدور الثاني؟

-هناك ورشة تصنيع زجاج لماذا؟

قلت بنشوة مهاجم وجد انفراداً بالكرة و المرمى خال:

-زجاج يعني سيليكا،وجدتها !

-ماذا هناك؟!

-السيليكا مادة تستخدم في صناعة الزجاج،غبار السيليكا يتساقط من النافذة و الغبار يعلق بالملابس ثم يتساقط منها أثر للشخص.

-تقصد إنك.....

قلت و أنا أخرج كشاف صغير من جيبي :

-إني أستطيع أن أتتبع المجرم من خلال السيليكا اللي تسقط منه لأنه تلمع على الأرض في ضوء الكشاف.

obeikandl.com

-أنا قادمة معك!

-لا!

قالت بصلابة وعناد:لا تخف علي ،خف على نفسك!

كنت مصرة إصرار الأرسنال على المركز الرابع،فلم أجد بداً من إصطحابها معي،سرنا على ضوء الكشاف مسترشدين بالنقاط الصغيرة كرؤوس الدبابيس اللامعة على الأرض،حتى وصلنا إلي عمارة شاهقة الارتفاع توقف عندها الأثر ليدخلها.

نظرت لباب العمارة وقلت :

-فرد أمن! مشكلة!

قالت:عندي فكرة! انظر لتلك اللافتة.

تقدمت أنا و يارا من البناية وقالت يارا:

-من فضلك هل الدكتور سمير الشرقاوي طبيب العظام هنا؟

قال فرد الأمن:نعم يا آنستي في الدور السادس.

-أشكرك!

دخلنا العمارة وهمست ليارا بغرور:

-بالنسبة لمبتدئة أداء رائع.

-أنت طفل تائه من دوني يا صغيري.

obeikandl.com

دخلنا المصعد وصعدنا إلي الدور السادس ثم انتظرنا حتى انطفأ ضوء الردهة و السلم في العمارة إلكترونياً وبدءنا التحرك على ضوء الكشاف في الظلام نزولاً على السلالم حتى وجدنا لمعاناً أمام أحد شقق الدور الرابع.

همست:هذه هي الشقة!

ثم أخرجت هاتفي المحمول وبدأت أعبث به.

قالت لي : هل ستبلغ تبلغ الشرطة؟

-لو قلت لضابط الشرطة سيليكا فلن يفهمني، سأتصل بالشرطة عندما يكون معي دليل ملموس.

ثم أخرجت من جيبي سكيني السويسري الأثير و قمت بمعالجة قفل الباب باستخدام الشفرة الرفيعة و دخلنا الشقة لا يقطع ظلامها إلا ضوء مصباحي.

قمت بفحص الشقة سريعاً على ضوء الكشاف و فجأة سمعنا صوتاً و أضيئت الأنوار و وجدنا رجلاً طويل القامة يمسك سكيناً و لاحظت جرحاً على وجهه كأنه خدش وقال الرجل :

-قفوا!!

فقلت باستخفاف : و لماذا تهدد فلتقتلنا كما قتلت زميلتك في العمل!

***

اتسعت عينا الرجل في دهشة و بدا مثل من فتح عليه باب دورة المياه و قال :

-كيف عرفت إنها زميلتي في العمل؟ و كيف عرفت أصلاً إنني قتلتها؟

قلت بهدوء:إنها مسألة عقل و منطق و ربط لا تحتاج لدكتوراه من كامبريدج! في حقيبتها بطاقة عمل في شركة النور للاستيراد و التصدير و على الطاولة هنا نفس البطاقة التي تحمل اسمك و هناك كومة رماد كبيرة موجودة في سلة القمامة هنا و رائحة شياط خفيفة ،يمكنني أن أخمن إنها كانت تبتزك بأوراق تثبت فساد منك أو اختلاس أو تزوير و أنت قتلتها و أخذت الأوراق منها و أحرقتها،وهذا غير الجرح الموجود على وجهك الذي سببته أظافرها بالتأكيد، كما إنك أعسر تمسك السكين بيدك اليسرى، ثم إن لا يوجد محاسب في شركة استيراد يمتلك هذه الشقة باهظة الثمن.

ضحك الرجل و قال : استنتاج رائع! و فعلا معك حق! فائزة اكتشفت إني أختلس من أموال الشركة و وجدت أوراق تدينني و طلبت مني ٢٠ ألف جنيه كي لا تسلمها للمدير،فضربت لها ميعاداً في هذا الزقاق و جهزت كل شيء! أنا لا أدري كيف وصلت إلي هنا لكني أعدك إنك ستموت و سأقول أن الشباب أصبح فاسداً لدرجة اقتحام الشقق على ساكنيها و إنني فزعت فقتلتكما! و لا يوجد دليل واحد ضدي في الجريمتين!

أشكرك جداً أيها الأحمق فقد انسقت للفخ و أصبح الوزير خارج اللعبة و الملك مهدد :

- لا هناك دليل و أنت من قدمه لي! أشكرك! برنامج التسجيل الصوتي على كل هاتف محمول و أنا فعلته على هاتفي قبل دخولي الشقة، لكن المهم أن يصل للشرطة!

قال بلهجة أراد أن يبدو فيها خطيراً:

-لا يا شيرلوك هولمز! سيصل لكن للآخرة معك!

عندئذ هجم الرجل علينا،حسناً أنا أكره أن أخيب آمال الذين يحاولون ضربي،لكن ماذا أفعل إن كنت تعلمت كيف أدافع عن نفسي باستخدام عصاي؟ إن نقطة ضعفي هي التحرك لكن إذا كانت عصاي في يدي فلماذا أتحرك؟

أطحت بسكين الرجل ثم أخذت أوزع الضربات بها على ضلوعه ورأسه و ذراعيه و قدميه بسرعة وحاول الرجل التراجع فمدت عصاي أسفل قدمه فسقط و أصطدمت رأسه بالمنضدة فأغشي عليه.

لكن لحظة واحدة! هناك جملة سخيفة يجب أن أقولها كعلامة مسجلة:

-أنا لست شيرلوك،أنا هيركيول بوارو!

أبلغت الشرطة و أطلعتهم على التسجيل الذي كان دليلا كافياً و تم القبض على الرجل وفي نهاية الليلة قالت يارا لي ونحن عائدان من قسم الشرطة عندما وجدتني مبتسماً للغاية:

-علام الوجه الطليق؟

-اليونايتد إنتصر! الغريب أن آشلي يونج أحرز هدفين!

-هذا ما يفرحك؟ اليونايتد؟ لقد قبضت على المجرم و الجرائد ستكتب عنك و سعيد من أجل مجرد فريق كرة قدم!؟

-ليس مجرد فريق كرة قدم،اليونايتد قصة عشق لا تنتهي!

-ماذا؟

حسناً،لن يستطيع كل الناس أن يفهموا ماذا يعني اليونايتد،كنت أعتقد إنني لن ألتقي يارا مرة أخرى لكني التقيت بها مرة أخرى في..

obeikandl.com

القصة الثانية : جريمة في النادي!

(بالمناسبة فليدفع لي أحدكم العشرة جنيهات التي أعطيتها لحارس الأمانات هنا كي أستطيع أن أفتش الحقيبة.)

جففت يارا عرقها بعد ان أنهت تدريب التنس الخاص بها بالنادي الذي تمارس فيه تلك اللعبة و صافحت مدربتها وقالت لها:
-مباراة جيدة يا كابتن فاطمة!

قالت فاطمة مجاملة و هي تجفف عرقها:

-أدائك تطور جداً يا يارا، كأنك ماريا شارابوفا!

ضحكت يارا بخجل و قالت: أشكرك!

جلست الفتاتان على أحد المقاعد ليستريحا قليلاً،كانت فاطمة فتاة في ال٢٦ من عمرها طويلة القامة شعرها عسلي طويل وملامحها جميلة.

قالت فاطمة بابتسامة خبيثة:لقد رأيتك خارج النادي مع فتى في مثل سنك يمسك عصا،يبدو إنك وقعت يا فتاة!

يارا:من؟ أحمد؟؟؟؟ لا لا لا! أحمد مجرد صديق لا أكثر،بل هو أقل من صديق،هو كما تقولين (معرفة) قابلته صدفة بالخارج.

قالت فاطمة بابتسامة أكثر خبثاً:

-الجميع يقولون تلك الجملة في البداية!

ضحكت يارا و قالت:

-لا فعلاً إنه مجرد معرفة! بالتأكيد سمعتي عنه في الجرائد،هو من كشف جريمة الشارع الخلفي للمكتبخانة.

-لقد عرفته! لكن من خلال الحوار مع الجريدة اكتشفت إنه إنسان سمج و مغرور جداً، أنه يقول أن عبقرياً مثله كان لابد أن يكتشف سر الجريمة،و إنه كان حزيناً لأن مباراة مانشستر يونايتد قد فاتته!

-صدقي او لا تصدقي! لقد كان جاداً!! لكن بالرغم من ذلك أحمد ذكي جداً و طيب نوعاً ما لكنه مغرور!

تدخلت إحدى الفتيات في الحوار:

-الإناء الفارغ يصدر صوتاً عالياً!

ردت يارا ضاحكة:لا، هو ليس من تلك النوعية يا سلوى، إنه عبقري لكنها آفة العباقرة في الغرور.

قامت فاطمة وهي تقول:

-على أي حال يا يارا لا تأمني لأي رجل إلا إذا كان معك منه ميثاق مكتوب محمول أسفل ذراعك الأيسر،صدقيني أنا أكلمك عن خبرة،و الآن سأذهب أنا لأستحم.

-سأستريح أنا قليلاً!

توجهت فاطمة نحو الحمامات بينما جلست يارا تتجاذب أطراف الحديث مع سلوى وبعد نصف ساعة سمعا صرخة آتية من حمام السيدات فقاما

و أسرعا إلي الحمام فرأيا أحد العضوات تصرخ وتشير إلي نهاية ممر الحمام فوجدا منظراً فظيعاً،كانت فاطمة ممدة على الأرض بثقب دائري فوق قلبها ينزف دماً!

***

أعلم إن إمضاء الوقت مع فتاة لطيفة مثل يارا -حتى بوجود جريمة- أفضل من قضاء الوقت معي حتى لو كان في منتجع بجزر الكاريبي،لكن رغماً عنكم يجب أن أظهر فأنا بطل القصة! اختصاراً للوقت –و للورق كي لا يصاب الكاتب بالفالج عند الطبع- كنت ماراً بالمصادفة البحتة أمام باب النادي لأجد سيارات الشرطة تحيط به فانسللت وسط الزحام لأستطلع ماحدث فوجدت يارا تبكي،بالطبع اضطررت أن أهدئها لأفهم ما حدث، ثم قررت أن أقوم بما أقوم به دائماً.

كان هناك شرطي قصير القامة كبير السن يأمر وينهى،توجهت إليه قائلاً:

-هل حضرتك الضابط المسؤول؟

التفت إلي الرجل و نظر اليه باشمئزاز لم أفهمه، ثم قال بعد فترة من الصمت كأنه يزن كلماته:

-نعم أنا الضابط المسؤول! و بالتأكيد أنت الفتى المتحذلق الذي يظن نفسه شيرلوك هولمز لمجرد إنه اكتشف القاتل بالحظ الحسن في جريمة تافهة!

ابتسمت و قررت أن أكون سمجاً لآخر الخط:

-أولاً أنا لست شيرلوك! أنا هيركيول بوارو! ثانياً لو كانت الجريمة تافهة لماذا لم يستطع رجال الشرطة حلها؟

احتقن وجه الضابط وقال:أيها الـ....
قاطعته قائلاً :سيدي سأقدم لك عرضاً لا تستطيع أن ترفضه،أتركني أحقق في هذه القضية،لو نجحت فاتركني أحقق في أي قضية أخرى و لو فشلت فلن أتدخل في أي قضية مرة أخرى،و على أي حال أليس هدفنا المشترك هو الوصول للقاتل؟

سيوافق! أعلم هذه النوعية المعاندة المتحدية من الناس و أعلم أنه سيوافق، ابتسم ابتسامة ذئبية و فرك كفيه في سرور و قال:

- أنا موافق! لكني أحذرك يا بني أن هناك فارق بين المحترف الخبير والمبتدئ الهاوي.

تجاهلت هذه الكلمة و طلبت تقرير القضية و بدأت في قراءته،كان التقرير يقول أن الضحية تدعى فاطمة عبد السلام،تبلغ من العمر ٢٦ عاما،تعمل مدربة تنس في النادي،الوفاة كانت نتيجة طعنة باستخدام سلاح مدبب الطرف دائري في القلب تماما،المشتبه بهم عددهم ثلاثة: المناويشي سائس الجراج لأن الجراج يقع وراء الحمام لكنه أنكر وجوده بالمكان لأنه شغل بسيارة قذف عليها أحدهم حجراً فكسر زجاجها الأمامي ،الكابتن مراد مدرب الملاكمة لأنه كان في حمام الرجال وقتها و قد وجد معه سكين مشرشر النصل وقد قال انه يستخدمه في الحماية الشخصية لكن السكين لن يسبب جرح كالجرح الدائري الذي وجد على

الضحية ، الأستاذ خالد أحد أعضاء لأنه كان بالنادي ومن المعروف عنه خلافاته الكثيرة مع القتيلة،و قال إنه كان يجلس وحيداً و لكنه لم يستطع أن يثبت ذلك،بدأت الفحص و التحقيق وسؤال الشهود ثم خرجت من الحمام ثم عدت بعد قليل وعلى وجهي ابتسامة انتصار و قلت :

-سهل و تافه جداً! حل هذه القضية أسهل من تسجيل واين روني للأهداف! فلنسرد تسلسل الأحداث بهدوء، الساعة ٣.٠٠ دخلت الآنسة فاطمة الحمام،الساعة ٣.١٥ المناويشي سمع صوت تكسير زجاج لأن هناك من قذف سيارة بحجر الساعة ٣.٣٠ تم اكتشاف الجثة أي أن الجريمة غالباً حدثت بين الساعة ٣.١٥ و ٣.٣٠،المناويشي (تباً! أي أب يطلق على ابنه هذا الإسم؟ -قلتها في سري بالطبع-) كان لديه حجة غياب قوية و هي فعلاً صحيحة لأن صاحب السيارة التي قذفت بالحجر شهد أن المناويشي كان معه،يبقى الأستاذ خالد و كابتن مراد و كلاهما لم يستطع إثبات مكان تواجده ،و قد وجد مع كابتن مراد سكين،لكن الطبيب الشرعي قال أن هذا السكين لا يسبب الجرح الذي قتل الضحية،بالطبع ربما تعتقدون أن الحيرة أصابتني لكن هذا لم يحدث لأنه لا يوجد نقطة ضعف منطقية في تفكيري،لقد تتبعت خيط السر لغاية آخره و طرف الخيط هنا هو سلاح الجريمة .

ثم تحركت ناحية أدوات التنظيف التي يستخدمها عمال التنظيف للحمام و أمسكت بالمساحة قائلاً:

-لو تأملنا المساحة سنرى أن عصاتها ناعمة ما عدا قمتها سنجدها خشنة وحوافها حادة و هناك نشارة خشب محشورة بين الأجزاء الخشنة كأنها العصا نشرت حديثاً، غير إننا نلاحظ إنها مبتلة بالماء كأنها وضعت تحت صنبور المياه لكن لماذا؟

صمت قليلاً لأنني أحب أن أجعل الجمهور يتحرق شوقاً لمعرفة السر ثم استطردت:

-الجواب بسيط للغاية،القاتل قام ببري المساحة باستخدام سكين ليصنع لها طرف مدبب حاد ثم يستخدمها في الجريمة كالرمح ثم ينشر الجزء المدبب باستخدام نفس السكين و يتخلص منه في مصرف المياه (التواليت) ثم يضع المساحة تحت الصنبور كي يزيل البصمات والدم من عليها،لكن من هو القاتل؟

ابتسمت و استطردت: لو تأملنا شكل النشر سنكتشف إنها ليست سكيناً عادية لكنها مشرشرة النصل -يبدو إنها موضة القتلة هذه الأيام- أليس كذلك يا كابتن؟ أنت تملك سكيناً مشابهة!

قال مراد بانفعال:إنها مجرد مصادفة!

لقد مللت من هذا! ألا يوجد أي قاتل ذكي في العالم؟ أم أن مسيو هيركيول بوارو قضى عليهم جميعاً؟ للمرة الثانية في عرض الأدلة يقع القاتل في الفخ،قلت ببرود شديد:
-لقد سألتك رأيك فقط و لم أقل أي شيء، لكن ما رأيك ببعض الافتراضات؟ من الممكن أن تدخل الحمام الرجالي و تقفز من النافذة في آخر الممر و تدخل إلي حمام السيدات،من المؤسف إنك لا تمارس النجارة كثيراً و إلا لاحظت أن سكينك علق بالفراغ الصغير بين مقبضها و نصلها آثار نشارة خشب، و قد افترضت أنك قذفت الحجر على السيارة كي تشغل المناويشي لأنه كان جالساً بالقرب من شباك الحمام وكان من الممكن أن يراك، لكنك ارتكبت خطأً قاتلاً،الحجر حمل بصماتك عليه.

هنا انهار مراد وقال:

-تباً نسيت هذا!!!

قال مفتش البوليس:لكن ما السبب؟ لماذا ارتكب الجريمة!؟

-كابتن مراد يبلغ من العمر ٤٤ سنة ومتزوج و لديه ثلاثة أطفال،لكن هذا لا يعني أنه يمانع في الزيادة! آنسة يارا هل تستطيعي أن تتذكري آخر كلمة قالتها لك فاطمة؟

انعقد حاجبا يارا وقالت: قالت:" لا تأمني لأي رجل إلا إذا كان معك منه ميثاق مكتوب محمول أسفل ذراعك الأيسر "

-بالضبط. ما هو الشيء الذي يحمل أسفل الذراع الأيسر؟ بالطبع الحقيبة النسائية،و قد وجدت هذه في حقيبتها ،بالمناسبة فليدفع لي أحدكم العشرة جنيهات التي أعطيتها لحارس الأمانات هنا كي أستطيع أن أفتش الحقيبة.

و أبرزت ورقة أخذها المفتش وقرأها وقال:

-هذا عقد زواج عرفي بين الضحية و كابتن مراد.

-بالضبط.

عند اذاً انطلقت ضحكة ساخرة من مراد وقال:

-الـ***** ! من كانت تظن نفسها كي تطلب إشهار الزواج؟! الـ***** لم تدرك إنها لعبة مؤقتة من الممكن رميها في أي وقت! لكنها تخطت

الحدود و هددتني بأن تفشي سري لزوجتي و تفضحني و لهذا كان يجب أن أتخلص منها!

ثم نظر إلي و قد اتسعت عيناه في جنون و صرخ:

-ولولا تدخلك لكنت نجوت! سأقتلك يا ابن الـ**** و لو كان هذا آخر شيء أفعله في حياتي!

ثم أنقض علي و.... ألن يتعلموا هذا أبداً؟ إنها أقدم حيلة بالتاريخ و هذه ميزة لأن لا أحد يتوقع أن تستخدم لكن ليس لهذه الدرجة،أظن أنكم تعرفون السيناريو (تنحي-وضع العصا في مجال الساق-تعثر-وقوع-الشرطة تنقض عليه لتكبله)

قال المفتش العجوز منبهراً:أنت رائع يا بني! لم أتوقع هذا!

رددت بسماجة قائلاً:شكراً يا سيدي،إنه الفارق بين المحترف الخبير والمبتدئ الهاوي.

ثم خرجت أنا و يارا دون أسمع رده و لكنني نسيت شيئاً مهماً،استدرت إلي مراد المكبل بالقيود بين العساكر و وضعت يدي في جيبه و أخرجت محفظته و أخذت العشرة جنيهات التي دفعتها كي أفتش الحقيبة و أعدت المحفظة له قائلاً:

-عفواً فأبي ليس مليونيراً!

تمت

القصة الثالثة:غابة الأوهام!

(بالطبع يجب أن يقول كلام مواضيع الإنشاء هذا رجل لم يرى من مصر سوى هذا القصر و هذه الضاحية و شركته التي تدر مالاً مثل بول مريض السلس البولي و صيدلياته المعطرة الضخمة،لو زار المرحوم مناطق أعرفها لفر من مصر فراره من الأسد، في الحقيقة إن هذا البلد العجيب قسا على ابنائه جداً.)

غابة الأوهام!!! اسم غريب أليس كذلك؟ لو كان الأمر بيدي لم أكن لأضع عنواناً لأي قضية و أكتفيت بتلك النجوم سهلة الهضم (***) لكن المؤلف ظل يقول لي و هو يكشر عن أنيابه مبتسماً:"لابد من التشويق يا د\أحمد! " لكن أظن أن هذا الاسم كفيل بأن يجعلني أنزل من بيتي الساعة التاسعة مساءً في تلك النوة الممطرة لأذهب لأحد المقاهي الفاخرة –الذي يضطرني للأسف لدفع مبلغ من المال-،في هذا الوقت كنت في السنة الأولى من كلية الطب،كانت يارا هناك و معها فتاة أخرى شقراء الشعر، زرقاء العين،ترتدي ملابس حداد سوداء،جلست و خلعت الكاسكيت -بالتأكيد لن أرتدي تلك (الآيس كابات) الرقيعة!!!*- و وضعته على المائدة،وطلبت من النادل كوباً من القهوة المحلاة،ثم قلت مبتسماً:

-جو رائع كي تطلبين فيه أن أقابلك!

ابتسمت يارا قائلة:عذراً لكن الموضوع مهم حقاً! أعرفك بصديقتي التي تريد مساعدتك،برسفوني جورج ،برسفوني أعرفك بصديقي الذي كلمتك عنه أحمد غراب.

مدت برسفوني يدها لي لكنه اكتفيت بأن أحنيت رأسي قائلاً:

-عفواً أنا لا أصافح الفتيات.

بدت ملامح الضيق على وجه برسفوني ثم اختفت تلك الملامح سريعاً.

نظرت يارا لساعتها قائلة:

-لقد تأخرت! سأذهب أنا و قد تركت الموضوع بين يديك يا أحمد،أرجو ألا تسبب مشاكل.

قلت بسخرية:لا تقلقي لن أقتلها من أجل عشائي!

ودعتنا و انصرفت و في نفس الوقت وصلت القهوة فتناولت الكوب و رشف منه رشفة ونظرت لبرسفوني قائلاً:

-أنا تحت أمرك يا أنسة.

أخذت نفساً عميقاً وقالت:

-أسمي برسفوني جورج هاني،أبي كان مهندساً مصرياً اسمه جورج هاني صليب و أمي كانت من الجالية الايطالية الموجودة بمصر واسمها إيلينا دي جياكوميني.....

-كان،كانت؟؟؟؟؟

-والدي و والدتي توفيا في حادث سير من ٣ سنين.

قلت بحرج: أنا آسف جداً! أكملي من فضلك.

-منذ الحادث وانا أعيش مع عائلتي الأيطالية لأن أبي كان (مقطوعاً من شجرة) كما يقولون،في العائلة أفراد كثر،أولاً كبير العائلة: جدي رافاييل دي جياكوميني صاحب شركة جياكوميني للأدوية بإيطاليا و صاحب مجموعة صيدليات ديانا في مصر و خالتي التي بمثابة أمي ماري كريستيانو** ، ،أرملة و لها ابن واحد أسمه ماركو ،كان شاباً رقيعاً كأي شاب في سنه لكن منذ ٣ شهور استقام و التحق بخدمة الكنيسة،و يعمل الآن موظفاً في شركة من الشركات و أخوالي:خالي الكبير اسمه ريكاردو،و يدير شركات الأدوية والصيدليات من ٢٠ عاماً عندما سلمه جدي مسؤوليتها،متزوج من سيدة إيطالية من الجالية تدعى دافني دي جياكوميني،ولهم ابن وحيد اسمه ماريو،خاطب،يعمل مدرب في صالة تدريب كبيرة ،آخر أفراد العائلة هو خالي الأصغر جيانلوكا،أرمل،زوجته توفت بالسرطان من ٢٠ سنة ولم يرضى أن يتزوج غيرها بالرغم من إلحاح جدي و خالتي عليه،و لا يزال في حالة حداد عليها،و يعمل كبير طهاة في فندق كبير في الإسكندرية ،أنا وخالتي ماري نعيش مع جدي في نفس الفيلا.

أمسكت برسفوني بكوبها ورشفت منها رشفة كبيرة ثم استأنفت:

---

* مرة أخرى أن هذه أراء أحمد و هو مسؤول عنها.

** الأوروبية تأخذ لقب زوجها لتتسمى به ويبقى لها حتى بعد وفاة الزوج (أعلم أنك تعلم لكني أفترض وجود معتوهاً مسكيناً مثلي لا يعرف أي شيء).

-الحكاية بدأت منذ ٥ اسابيع،جدي تشاجر مع أخوالي لسبب لا أعرفه،وبعدها بأسبوعين طلب المحامي،ومنذ ٣ أيام فقط كنت قضيت

ليلتي عند إحدى صديقاتي،وماركو كان في الكنيسة و ماريو كان في رحلة لشرم الشيخ،و خالي ريكاردو كان عائداً من إيطاليا في نفس الليلة في الطائرة و خالي جيانلوكا كان لديه حفلة في فندقه فاضطر أن يبقى هناك طوال الليل ،كل ليلة الساعة ١١.٠٠ كانت خالتي تحضر لجدي كوباً من القهوة،لكن جدي مات بعد أن شربها هذه المرة!

ثم أكدت الشرطة في التحقيقات أن بالقهوة سم الزرنيخ،وقبضوا على خالتي باعتبارها المشتبه به الأوحد،لأن الخدم كلهم ماعدا عم شحاتة البواب ينصرفون الساعة ٩,٣٠ بالليل و البارحة جاء المحامي و أعلن وصية جدي، والوصية كانت تقول:أوصى جدي بجميع ثروته ماعدا ربعها لأخته –خالتي- ماري و لو حدث لها أي شيء الثروة تأول لابنها ماركو،و الربع الباقي نصفه لي و لأنني قاصر أوصى بأن يكون ماريو ابن خالي ريكاردو وصياً علي،والنصف الباقي يصرف للأعمال الخيرية،أما خالي ريكاردو نفسه فأوصى أن يبقى كما هو مديراً الشركة والصيدليات التي ستكون ملكاً لخالتي،أما خالي جيانلوكا فأوصى له براتب شهري يعيش عليه.

ابتسمت قائلاً :المسألة صعبة فعلاً!

-خالي لا يصدق أن خالتي هي من قتلت جدي لهذا عين واحداً من أكبر المحاميين في البلاد كي يدافع عنها لكن المحامي أكد له أنه لا يوجد أمل في قضية كهذه إلا الحصول على حكم مخفف،و كنوع من اليأس كلمت خالي عنك و وافق على استخدامك لأنه يائس.

-لأنه يائس؟؟ أشكرك يا آنسة!

أحمر وجه برسفوني خجلاً وقالت بتلعثم:

- أنا آسفة جداً! لم أكن أقصد....

قاطعتها ضاحكاً:لا توجد مشكلة،سولشاير* كان ينزل ليغير النتيجة دائماً..

-هه؟ من؟

-لا تشغلي بالك،حددي ميعاد مع عائلتك كلها غداً و اتصلي بي عندما تحددي.
ثم ودعنها و انصرفت وعدت إلي منزلي،و بعد ساعة ونصف اتصلت بي برسفوني واخبرتني أن آتي غداً الساعة التاسعة صباحاً الي قصر الجد (بالاتزو دي مونبيم) _ويعني قصر شعاع القمر بالأيطالية_ في ضواحي الأسكندرية.

***

في الساعة التاسعة بالضبط صباحاً كنت أدلف من بوابات (بلاتزو دي مونبيم) و أمشي بين الحدائق الغناء في ذلك الممر المرصوف بحجر الإسكافي،نظرت إلي القصر الفخم....حسناً!!

---

*أولي جانر سولشاير:لاعب كرة قدم نرويجي سابق،لعب لنادي مانشستر يونايتد في التسعينات و اوائل الألفية الجديدة، وكان يلعب كمهاجم،اشتهر بأنه كان دائماً يجلس على دكة الأحتياط وعندما يدفع به المدرب الي الملعب يسجل أهدافاً ،وكانت اخطر اهدافه على الأطلاق هو هدف الفوز الذي احرزه في بايرن ميونخ الألماني في نهائي دوري ابطال أوروبا سنة ١٩٩٩ في الدقيقة ٩٣ من عمر المباراة!!!

لأقطعن ذراعي إن لم تكن الجريمة من أجل ميراث الجد!! فتح لي أحد الخدم الباب،كان يرتدي مثل الخدم الأجانب في الأفلام العربية القديمة حتى إنني توقعت أن يقول لي (تحبي تشربي إيه يا سعادة البيه؟) أو (البيه موش إينا البيه راح الإيزبة) لكنه قادني إلي الصالة في صمت، حيث كان يجلس أفراد العائلة جميعهم ،و رمقتهم بنظرة فاحصة،خيبت تلك النظرة أمالي،فمع عائلة إيطالية توقعت أن أرى دون كريليوني يمسح على ظهر قط بيد و يمسك بسيجار في اليد الأخرى،بينما تعزف موسيقى (الأب الروحي) من اللا مكان،في الركن كانت تجلس برسفوني وقريباً منها كان يجلس رجل فاحم الشعر،خفيف اللحية كان على ملامحه كآبة واضحة وهو السنيور جيانلوكا دي جياكوميني، وبجانبه كان يجلس رجل مهيب الشكل ،ممتلئ قليلاً قد شاب شعره وشاربه فاعطاه وقاراً وهو دون ريكاردو دي جياكوميني و بجانبه سيدة وقور، أنيقة الملابس قد خط الشيب في شعرها الأسود وهي السنيورة دافني حرم السنيور ريكاردو،و بجانبهما كان يجلس شاب مفتول العضلات،عريض المنكبين،شعره مجعد و قصير و لديه شارب رفيع كالذي يهوى تربيته الأوغاد -على رأي دكتور أحمد خالد توفيق- وهو ماريو و أخيراً كان هناك شاب نحيل الجسم يرتدي الأسود و عينيه محمرتين من البكاء وهو ماركو.

جلست و قلت بالعربية:بالطبع تعرفون لماذا أنا هنا،لهذا أتوقع منكم التعاون التام.

قال دون ريكاردو بالعربية المكسرة و قد ظن أنه فهمني:

-أنا (مستايد) لكل (تلباتيك) لو (استتات) أن تثبت (براية) ماري،من (جني) لمليون!

بالطبع كان يقول أنه مستعد لكل طلباتي لو أثبت براءة السيدة كريستيانو،عربية هذا الرجل تبدو كأن هناك سحقها بمطرقة،عربية الفتاة برسفوني أفضل بكثير، لحسن الحظ أنا أجيد عدة لغات درستها عندما كنت في التعليم المنزلي بعد الحادثة،أجيد الإنجليزية و الألمانية و الفرنسية و الإيطالية ،قلت موضحاً بالإيطالية:

-دون ريكاردو، أنا أقوم بعملي مجاناً، طلبي الوحيد هو التعاون المطلق،يمكنك الحديث معي بالإيطالية فأنا أجيدها..

قال بابتسامة منهكة:لك هذا.

-أولاً أريد أن أتكلم معكم واحداً واحداً على انفراد إذا سمحت يا دون، و سأبدأ مع حضرتك.

هز الرجل كتفيه في استسلام و قادني للمكتب.

جلسنا في المكتب،و أخرجت علبة المسكن و ابتلعت منها قرص لأني بدأت أشعر بألم في ساقي اليسرى،ثم قلت للدون:

-مبدئياً أنا أريد أن أعرف بداية المرحوم رافييل دي جياكوميني في مصر،كيف كانت؟

تنهد الدون وقال:رافاييل أخي بدأ من الصفر في إطاليا،بعدما توفى والدينا كان رافييل في الـ٣٠ من عمره و أنا كنت في الـ١٩ من عمري و ماري كانت تبلغ العاشرة و جيانلوكا الرابعة و كان رافاييل متزوجاً من فتاة تدعى صوفيا أرديتزوني و ورث صيدلية صغيرة في ميلانو عن والدنا وبدأ يعمل بجد كي يربينا وبعد ٧ سنوات أنجب فتاة جميلة

اسماها إيلينا و في نفس الوقت أصبح صاحب شركة أدوية و مجموعة صيدليات في كل إيطاليا و وقتها فكر في مخاطرة جديدة،اشترى مجموعة صيدليات في واحدة من أكثر الدول المحتاجة للأدوية على حوض المتوسط: مصر! و بالفعل فكرته نجحت و انتقلنا كلنا للعيش في مصر وسط جاليتنا و سريعاً تعلمنا العربية.

ابتسمت قائلاً:لو كنت مكانه لسافرت أي مكان غير مصر.

ضحك الدون ضحكة صافية وقال:لو سمعك رافاييل لأعطاك محاضرة عن عظمة مصر،كان يقول:"مصر مليئة ببعض السلبيات،و شعبها يتكون بصفة شبه عامة من الرعاع والأوباش،لكن تحت الغمامة السوداء لمصر والمصريين هناك قلب من ذهب لكنهم لا يعرفون،مصر مهما يكن بها سحر غريب يجذبك."

بالطبع يجب أن يقول كلام مواضيع الإنشاء هذا رجل لم يرى من مصر سوى هذا القصر و هذه الضاحية و شركته التي تدر مالاً مثل بول مريض السلس البولي و صيدلياته المعطرة الضخمة،لو زار المرحوم مناطق أعرفها لفر من مصر فراره من الأسد، في الحقيقة إن هذا البلد العجيب قسا على أبنائه جداً.

قطع الدون أفكاري مستطرداً :تزوجنا كلنا من الجالية الإيطالية ماعدا ابنة رافاييل،إيلينا احبت مهندس مصري مكافح اسمه جورج.
-ماذا كان موقف دون رافاييل من هذا الحب؟

-هو و ماري وافقا على زواجه منها لكن أنا وجيانلوكا رفضنا، كنا نعتقد أنه صائد ثروات و جادلنا رافاييل كثيراً في هذه النقطة وفي النهاية اتفقنا معه أن يختبر لجورج.

-يختبره؟!

-أجل! طلب مقابلته هنا في الفيلا وقال له أنه يوافق على زواج ابنته منه و أيضاً سيعطيه شقة في منطقة راقية و أي مبلغ يطلبه كي يبدأ به حياته،و هذا كان الاختبار،لو وافق فهو طامع في الثروة و لو رفض إذاً فهو إنسان جيد نستطيع أن نستأمنه على إيلينا معاه.
ابتسمت و قلت: ورفض بالطبع!

ابتسم الدون بدوره وقال:نعم! رفض بإباء و قال إن كان سيتزوج من إيلينا فيجب أن تعيش في مستواه هو، رافاييل رجل عصامي و احترم هذا الجواب جداً، و أفهمه أنه كان يختبره و وافقت أنا و جيانلوكا على الزواج ثم أنجب جورج و إيلينا فتاة وحيدة و أسموها برسفوني،ومن ٣ سنوات توفيا في حادثة سير و ماري أخذت برسفوني كي تعيش في القصر معها ومع جدها.

قلت و أنا أعبث في لحيتي النامية:

-فلننتقل لضرب آخر من ضروب التسلية،لقد حدثتني العصافير إنك كنت في خلافات مع المرحوم.

للحظة حدجني الدون بنظرة غاضبة ثم تلاشت تلك النظرة في ثانية لتحل مكانها أخرى بريئة وقال:

-خلاف بسيط لكنه تطور بشكل سرطاني عجيب! كان لدينا محاسب شاب في فرع الشركة هنا يدعى صلاح اختلس من الفرع ١٠,٠٠٠ جنيه!

-و كيف تصرفت معه؟

-في البداية كنت أريد أن أسجنه لكن ماركو كلمني و طلب مني أن أكتفي بإرغامه على الاستقالة و إلزامه بسداد المبلغ على أقساط للشركة فقط لأن مبلغ العشرة آلاف جنيه لا يعد شئ في ميزانية الفرع أو الشركة الرئيسية وفعلاً قمت بهذا كي أحافظ على مستقبل الشاب، و بعدها بيوم وجدت رافاييل يريد مقابلتي.

-و ماذا حدث؟

-اسمع:

***

كان دون رافاييل جالساً في مخدعه ويفحص بعض الأوراق بمعاونة محاميه وعندما رآني صرف المحامي ودار بينه وبيني هذا الحوار:

رافاييل:مرحبا يا ريكا! اجلس!

ابتسمت و قلت:ريكا! ياااااااااه! كنت دائماً تناديني بهذا الاسم و أنا صغير عندما كنت تريد ان تعاقبني! كنت تسميني حسب نوع الجرم "ريكا المشاغب!" "ريكا المخرب!" "ريكا مصدر المشاكل!" .

قال رافاييل و وجهه محتقن من الغضب:

-أخشى إني سأناديك اليوم بـ"ـريكا اللص" !

احتقن وجهي و قلت:لص! أنا؟!

-عندما تختلس من أموال أخيك الأكبر بمعاونة أحد موظفي الشركة فانت لص!

-من؟ صلاح؟! لقد فصلته و جعلته يمضي على وصل أمانة يجعله ملزم بسداد المبلغ الذي اختلسه! ثم كيف سأطمع في مبلغ تافه كالعشرة آلاف جنيه؟

-هل تظن إنني أحمق أو كما يقول المصريون:"نائم على أذني."!!! إذا لم يكن شريكك فلما لم تبلغ عنه الشرطة! و مبلغ صغير على مبلغ صغير آخر سيكون لديك أنت و هو مبلغ كبير!!

-إنه شاب صغير! لا يجب أن نضيع مستقبله من أجل مبلغ تافه لا يضرنا في شئ،لكني قمت بما يجب لكي أضمن إنه سيرد المبلغ!

-يالها من حجج واهية! اسمع يا ريكاردو! لقد جعلتك مديراً لأعمالي لأني أثق بك فلا تخل بهذه الثقة! من اليوم عليك أن تقدم لي تقريراً وحسابات شهرية بأعمالي هل تفهم!؟

قلت مستعطفاً:رافا! ألا تثق بأخيك!؟

-اسمي دون رافاييل! وانصرف الآن!

***

بعد أن سرد دون ريكاردو تفاصيل ماحدث قال:

-رافا كان يثق بي ثقة بلا حدود،لا أدري ما الذي غيره هكذا،أنت تعرف حكم السن،معظم من في سنه وخصوصاً الأغنياء يصابون بجنون الارتياب،بالله عليك لماذا أهتم بمبلغ تافه كهذا؟

كلامه منطقي،لكني أشم رائحة كذب قذر في الموضوع لكني قلت:

-جنون الارتياب وارد بالطبع،لقد أنهيت أسئلتي معك يا دون،هل من الممكن أن تستدعي سنيور جيانلوكا؟

ابتسم الرجل وقال:"لوكا الصغير"، هكذا كان يدعوه رافا.

بعد قليل دخل جيانلوكا المكتب وجلس أمامي،تأملته،إنه متوتر بشكل واضح،لكن لماذا؟ لست شرطياً أو ما شابه،هذا الرجل يبدو ميالاً للصمت فعلي أن أنتقي أسئلتي بحكمة،قلت قاطعاً الصمت:

-سنيور جيانلوكا سأختصر الموقف في بعض الأسئلة: أولاً هل كنت في خلافات مع المرحوم؟

تنهد جيانلوكا وقال:خلاف بسيط،مهما كان رافا لم يكن ليغضب مني،لأنه يعتبرني ابنه،أصل المسألة أن ماركو جاء لي في يوم من الأيام و أراني إعلاناً في الوسيط عن بيع محل يصلح كمطعم في مكان سياحي هنا في الإسكندرية،و كانت فرصة جيدة لي كي أحقق حلمي بأن افتتح مطعم للوجبات الإيطالية خاص بي في الإسكندرية،وبالرغم من إنني أعمل منذ فترة طويلة ككبير طهاه لكن مدخراتي لا تكفي لشراء و تجهيز المكان فذهبت كي أطلب نقوداً من رافا.

-و ماذا حدث؟

-اسمع!

***

طرقت باب غرفة أخي و دخلت،كان رافا مستلقياً على فراشه ودار بينه وبيني هذا الحوار:

رافاييل:لوكا الصغير! أرجو ألا تكون عدت للشقاوة مجدداً!

قلت:هاهاهاها! لا يا أخي! بل إنني قد وجدت لنفسي فرصة لا تعوض.

وقصصت عليه موضوع شراء مطعم خاص والقرض الذي أردته.

قال رافاييل عابساً:لوكا لقد وعدتني ان تبتعد عن طريق القمار والخمر!

-ومن جاء بسيرة تلك المفاسد!؟

قال الدون بغضب:أنت! أتظن أني أحمق؟! المحل الذي تريد شراءه مشغول بالفعل!

قلت بدهشة:ماذا! لكني رأيت إعلانه في الوسيط!

-لن تستطيع أن تخدعني! أتذكر عندما انتشلتك من ديونك التي تراكمت عليك بسبب القمار!

-لكن صدقني لقد أقلعت عن القمار والخمر!

احتقن وجهه وقال بغضب:لكنك تحاول أن تعود! وبمالي هذه المرة أيها الأرعن!

-رافا أنا لم .....

-اخرس! انا سأحميك من نفسك! وهذا لأنك أخي و أحبك يا لوكا!

-لكن....لكن...!

-انصرف الآن لا أريد أن أراك!

فانصرفت مذهولاً مما حدث...

***

انتهت القصة وللمرة الثانية أشم رائحة الكذب القذر،لكن لا زال لدي أسئلة أوجهها فقلت:

-قصة غريبة لكن هناك سؤالين:هل كنت فعلاً تقامر؟ و ماذا حدث لاحقاً؟

قال الرجل و هو يتعمد ألا ينظر في عيني:

-هناك فترة بعد موت زوجتي أدمنت الخمور وقامرت بأموال كثيرة واستدنت لكن رافا أنقذني،و بالنسبة للسؤال الثاني،جاء ماركو لي كي يقول أن الإعلان نشر خطأ والوسيط نشرت إعتذار في العدد الذي يليه و أراني الاعتذار.

تباً لقد أزكمت الرائحة أنفي:

obeikandi.com

-هممممممم، سنيور جيانلوكا أين كنت في وقت الجريمة؟

- كنت في الفندق طوال الليل لأنه كان هناك حفلة و تستطيع التأكد من إدارة الفندق.

-شكراً سنيور جيانلوكا، هل يمكن أن ترسل لي ماركو؟

***

دخل ماركو بعيناه المحمرتان إلي المكتب،هذا الفتى كتلة مشاعر ملتهبة،إن عائلته تملك برود الإنجليز لكنه يبدو إيطالياً أصيلاً بكل هذا الإنفعال،أشرت اليه بالجلوس لن أضيع وقتاً كثيراً معه فسأسأله سؤالاً واحداً:

-ماركو،هل لكم أعداء؟ و ما هي وسائل الأمان في القصر؟

-لدينا أعداء كثر،لكن معظمهم موجودون في إيطاليا،و البيت حوله سور عالٍ مزود بسلك شائك مكهرب،و هناك البواب و هناك خمسة كلاب تمرح ليلاً في الحديقة،لا تستطيع ذبابة دخول القصر! ثم من يهتم بقتل العجوز؟ الخال ريكاردو هو مدير الشركة الآن!

-هممممممممم،أين كنت ساعة ارتكاب الجريمة؟

-كنت في الكنيسة أؤدي خدمات نظافة هناك و تستطيع التأكد من الأب أنطونيوس.

-هممممممم، شكراً يا ماركو، هل يمكنك أن ترسل برسفوني؟

***

جاءت برسفوني،فتاة ذات عينين قلقتين -كما يقول هيركيول بوارو- قالت بذعر كعادتها -هذه الفتاة خلقت كي تكون مذعورة دائماً- :

برسفوني:إلي ما توصلت؟

قلت:للأسف للا شيء! الكل لديه حجة غياب،هذه حفلة دعيت لها السنيورة ماري وحدها لو فهمت قصدي،من دعاها؟ هذا هو السؤال.

قالت برسفوني بخيبة أمل :هل قررت الانسحاب؟

-بالطبع لا،لكني فقط أحتاج لبعض الوقت كي أفكر في الموضوع.

وغادرت القصر و أنا أسمع اثنتى عشرة دقة من ساعة القصر تشير إلي أن الوقت يكون الثانية عشرة ظهراً و أخذت سيارة أجرة الي منزلي و فكرت،هناك شيء مألوف جداً في هذه القضية،لا أتذكره لكنه شعور "ديجا فو" قوي، وصلت إلي منزلي و ذهبت إلي غرفتي و ألقيت عليها نظرة رضاء، إنها كما تركتها للنظافة والجمال،و الآن دعوني أصف لكم تلك الحجرة الرائعة،لماذا هي رائعة؟ لأنها حجرتي بالطبع! الغرفة مربعة الشكل وكل أثاثها مربع أو مستطيل، يتوسط الغرفة سريري مربع الشكل متوسط الحجم، أمامه مكتب عليه العديد من الأوراق والأقلام وبعض الكتب و حاسوب محمول وفوقه مكتبة عامرة بأصناف الكتب و دولاب مستطيل متوسط الحجم للملابس و أخيرا كان هناك سبورة بيضاء مربعة الشكل معلقة على الحائط ومعلق بجانبها الاقلام الخاصة بها و... تباً لهذا الحيوان!! في المرة القادمة سأحرص ألا يدخل هذا الخنزير الصغير هنا مرة أخرى!! رفعت صوتي قائلاً:

-معتتتتاااااز!!!!!!

جاء معتز أخي مهرولاً،كان في العاشرة وقتها،فابتدرته قائلاً:

-عندما وافقت على أن تستعير كتب من مكتبتي لم أكن أتصور أنك ستتصرف كالخنازير البرية!

-ماذا؟ لقد أعدت الكتب!!!

أشرت إلي الجريمة التي ارتكبها قائلاً:

-لكنك لم تعدها بالشكل الصحيح! كتب أرسين لوبين المرتبة من حيث لون الغلاف! هناك كتاب ذو غلاف أزرق بين الكتب ذات الأغلفة الحمراء!!!! هذه جريمة!

قال و هو يهز كتفيه بإستهتار:

-هذه ليست مشكلة كبيرة!

بدأ الوريد إياه ينبض في رأسي،فصرفته و أنا ألعن استهتاره المقيت!!!

يمكنني أن أتحمل أي نوع من الإهانة،و قد قابلت أعتى المجرمين،لكني أعتقد بوجود مكان في أسفل دركات الجحيم لنوعين من الناس:الفوضويين و المبذرين!

بدأت أهدأ،أحتاج أن أصفي ذهني،فتحت الـ(ـلاب توب) و فتحت أحد مسلسلاتي المفضلة :(المحقق كونان)!!!!نعم لا تستغربوا!! لدي معظم الأفلام و المسلسلات البوليسية،لدي رسوم متحركة مثل كونان و المفتش فابر و لدي أفلام مثل أفلام شيرلوك هولمز و أرسين لوبين و بالطبع

obeikandl.com

لدي مسلسل هيركيول بوارو بأداء الممثل الرائع ديفيد سوشاي،المهم أنني شغلت أحد حلقات كونان،و كالعادة عدل كونان من وضع نظارته في ذكاء و قال مفتاح حل جريمة الحلقة:"لكي تخفي شجرة عليك صنع غابة من الأوهام حولها!"

نعم نعم كالعادة أنت رائع يا كونان و.....

لحظة واحدة ماذا قال؟؟؟!!!!

أعدت هذا المقطع مرة أخرى فوجدته يعدل نظارته و يقول تلك العبارة: "لكي تخفي شجرة عليك صنع غابة من الأوهام حولها!"

تباً! هذا يدق عدة أجراس في آن واحد! أوقفت الحلقة و بحثت في مكتبتي،نعم! ها هو ذا! كتاب قديم أصفر الأوراق صغير الحجم مكتوب عليه من الخارج " القديس يرى الحقيقة " أخذت أقلب صفحاته حتى وصلت لفقرة معينة قرأتها بصوت عال:

"و انبثقت أشعة المعرفة في رأس القديس..وإذا به يتبين أن زمالة الدكتور زلرمان وكوكي وكاي ناتيللو،وصلتهم جميعاً بسام جفريز و جو هيمان و أضرابهما و اشتراكهم مع جيمس براثر وغيره،إنما تشبه خيوط الشبكة التي ينسجها العنكبوت ويربط فيما بينها في دقة واحكام لقضاء أغراضه..و إن هذا العنكبوت الشرير..الرأس المدبر و الذي ينشده القديس من بادئ الأمر،إنما هو مستر فرديناند بيرفيلد الفنان المخنث!."

"هل أنت محتار يا صديقي؟"

كالعادة أتصور هيركيول بوارو الموجود بداخلي يقول هذا بصوته الهادئ العجيب و إنجليزيته التي دمرتها الفرنسية،بالتأكيد هو يجول الآن بحذائه الأسود اللامع و عصاته ذات المقبض البجعي في ردهات عقلي.

"فكر كثيراً! لا تهمل خلاياك الرمادية،لا تكن كلب صيد آدمي! من يستطيع فعل الشيء دون أن يعرفه؟ من يستطيع أن يزرع غابة الأوهام إلا مالك الشجرة الوحيدة الحقيقية؟"

تباً!! لقد عرفته!!! لابد أن بوارو الآن يفتل شاربه الضخم و يحمل عصاه و يرحل راجعاً لشقته الأنيقة في عقلي الباطن،التقطت معطفي من الدولاب و أخرجت هاتفي المحمول و أجريت اتصالاً ببرسفوني واخبرتها أن تجمع أفراد الأسرة لأنني قادم لشأن هام بعد ساعتين.

بعد ساعة ونصف بالضبط كنت أجتاز حديقة (بلاتزو دي مونبيم) بعصاي للمرة الثانية في يوم واحد ،سيحترق هذا القصر من عيناي الحسودتين!!!

لكني لم أتجه مباشرة نحو القصر بل درت حوله متأملاً السور ثم فحصت أحد النوافذ جيداً ثم تبادلت حديثاً ودياً مع أحد الخدم،و عرجت على بيت الكلاب الخمس التي لم يمنعها شيء من الفتك بي إلا باب بيتها الحديدي ذو القضبان،ثم دخلت القصر و فحصت الهاتف و أستمعت لمسجله ثم وجدت العائلة تنتظرني فابتسمت وقلت بالإيطالية على طريقة بوارو:

-سيداتي آنساتي سادتي،هناك شيء قد اكتشفته،سنيورة ماري بريئة!

سرت همهمة بين الجمع لكن دون ريكاردو أنهاها قائلاً:

-هل أنت متأكد يا بني؟

قلت: في البداية هناك قاعدة تقول "لا يوجد نظام أمني كامل" بالنسبة للجريمة ،القاتل استعمل طريقة بسيطة في تعدي الأسوار العالية والسلك الشائك المكهرب، لو لاحظتم أن خلف القصر توجد شجرة ضخمة تمد فرع ضخم ومتين خارج السور و هو أعلى من السلك الشائك....

قاطعتني برسفوني:لكن هذا الفرع عالٍ جداً!

-المسألة بسيطة! القاتل ركن سيارته تحت الفرع بالضبط و صعد فوق السيارة و قفز و أمسك الفرع بيديه الأثنين و شد جسده و صعد على الفرع و زحف عليه حتى وصل لجذع الشجرة و نزل منها، و بما أن الشجرة كانت في الجزء الخلفي من القصر فالبواب لم يلاحظ ما حدث.

كاد ماريو أن يتكلم لكني أشرت إليه بالصمت و قلت:

-من فضلك دعني أكمل كلامي ثم قل ما شئت، ثم اتجه القاتل بعد ذلك لنافذة معينة في الطابق الأرضي ،لقد لاحظت أن النوافذ هنا لها عيبين،الأول أن ليس لها شيش،الثاني أن المقبض يفتح بالجذب للأعلى،و القاتل يعرف لذا قام بفعل شيء قبل اقتحام القصر بساعات،حفر ممراً دائرياً قطره حوالي سنتيمتر في خشب النافذة من ناحية المفصل و ربط حبلاً صغيراً في المقبض و أخرجه من الممر بحيث يرتكز على مفصل النافذة ،فيكفي بعد ذلك أن يتجه للنافذة ويشد الحبل و يدفع مصراع النافذة فتفتح و يدخل هو بكل بساطة ويغلق النافذة و يزيل الحبل،و لأنه يعرف أن سنيورة ماري تحضر القهوة،اتصل بها على الهاتف الأرضي كي يخرجها من المطبخ ويذهب هو ليضع

الزرنيخ في القهوة و عندما تعود هي للمطبخ سيكون هو مختفياً بعيداً عنه و يخرج من باب الخدم الذي لا يفتح من الخارج إلا بمفتاح و يخرج عن طريق الشجرة كما دخل..

حك ماريو رأسه مفكرا ثم قال:

-لكن هذا معناه أن مكالمة القاتل الوهمية ممكن سماعها لأن هاتفنا يسجل المكالمات، لكن الواضح أنه مسح مكالمته قبل أن يخرج لأنها ستدينه،ثم إنك لم تذكر كيف تخطى كلاب الحراسة،و هذا ما كنت أريد قوله!

رائع يا ماريو -بالرغم من شاربك السمج- فأنت ذكي:

-يا عزيزي ماريو هذا هو السؤال المليون دولار:لماذا لم تنبح كلاب الحراسة؟ بالطبع لأنه تعرف القاتل و تألفه! و إلا فكيف تسنى له حفر النفق؟

هرش ماريو رأسه مفكراً فقلت في تلذذ:

-مرتبك؟ سأعطيك تلميحاً صغيراً،القاتل لم يمحو مكالمته من الهاتف لأنها ستستخدم كحجة براءة له!

قال ماريو في عصبية: اللعنة أنت تعني أن القاتل بيننا!!! لكن لحظة!! هذا غريب! المكالمة المسجلة تلك الليلة فقط كانت مكالمة ماركو كي يقول لعمتي إنه سيتأخر في الكنيـ.....

قطع ماريو كلامه ونظر إلي في ذعر فقلت بابتسامة:

-أهنئك يا ماريو أنت حللت اللغز! سيداتي آنساتي سادتي اسمحوا لي أن أقدم لكم قاتل جده و ساجن والدته السنيور ماركو كريستيانو!

صاح ماركو بانفعال:أنت مجنون! ليس لديك أي دليل تتهمني به! لدي حجة غياب و نظريتك هذه محض هراء!!

-لا! الأدلة كثيرة على صدق نظريتي أولاً تحت الشجرة هناك فروع صغيرة كثيرة و ورق سقط منها و هذا معناه أن هناك من تسلقها،ثانياً والنافذة التي ذكرتها بها الممر الصغير في مكانه و واضح أنه محفور حديثاً،غير أن المفصل نفسه نظيف من الأعلى ،هذا معناه أن هناك من مسح القاذورات من عليه و هذا المكان الضيق دة لا يمكن أن ينظف إلا بحبل، وانت نظفته من غير قصد عندما مررت الحبل وشددته....

-لكني كنت في الكنيسة!

-الكنيسة قريبة جداً من البيت،و أنا سألت القس أنطونيوس وقال لي إنك كنت تنظف غرفة في الدور الأرضي مقفلة عليك وحدك،أي أنك تستطيع أن تخرج من نافذتها وتذهب لترتكب الجريمة و تعود مرة أخرى،ثم إن كل خلافات أخوالك مع جدك لك يد فيها،أنت الذي شفعت للموظف المختلس و أنت الذي أريت سنيور جيانلوكا الإعلان الوهمي والاعتذار التي وضعتهما بالفوتوشوب على ورقة جريدة الوسيط و أنا معي عددي التاريخ الذي ذكره سنيور جيانلوكا و أؤكد أن الإعلان كان خطة منك،و بالتأكيد كنت أنت من وسوس لجدك كي يتشاجر مع أخوالك،و بسبب سنه بدأ يشك في أي بادرة مريبة من أي أحد،فما عليك إلا أن تظهر نفسك كملاك وتجعل من أخوالك شياطين،و بالتأكيد تجسست على جدك وهو يملي المحامي وصيته الجديدة التي لا تستفيد

منها إلا لو حدث شيء لوالدتك فخططت وقتها للجريمة بحيث أن تتخلص من جدك وتسجنها، بالتأكيد الورع والتقوى الذان أصابانك فجأة عليك كانا جزء من الخطة كي تكسب ثقة جدك.

-أنت كاذب! ليس لديك دليل مادي على هذا الكلام!

-لا تتحداني فأنا أملك في جعبتي الكثير!

ثم شغلت مسجل الهاتف وقلت:

-انصتوا!

كانت المكالمة قد حدثت في تمام الحادية عشر، ماركو في التسجيل يتحدث مع والدته لكنهم عندما أرهفوا السمع سمعوا ما سمعت،سمعوا إحدى عشرة دقة منتظمة،إحدى عشرة دقة من ساعة القصر البندولية الكبيرة!

قلت:لقد تفحصت ساعة الكنيسة البندولية و صوتها مثل جرس صغير و ليس دقة معدنية مثل ساعة القصر،و الآن إن لم تكن في القصر وقتها فكيف يظهر صوت الساعة في مكالمتك؟

فجأة احتقن وجه ماريو فاستدار نحو ماركو ولكمه لكمة ساحقة أودع فيها كل حنقه وغيظه قائلاً :

-أيها الوغد السافل الحقير!

فقد ماركو وعيه فوراً وتوجه ماريو الي الهاتف ليطلب الشرطة بينما قام دون ريكاردو من مكانه وهو يخرج دفتر شيكاته وقال لي:

-اعتبرها مكافأة و ليست أتعاب يا بني! فلتقل لي أي رقم.

قلت:صفر يا دون! هذا ما أريد! صفراً!

***

انتهيت من سرد ماحدث ليارا و نحن جالسان في نفس مقهى و قلت:

- خرجت السنيورة ماري، صدمت طبعا لأنه ابنها لكن برسفوني ساعدتها على تخطي الأزمة و قامت السنيورة بتوزيع المال بالتساوي مع إخوتها.

-لكني لا أتصور أن ماركو هو من فعلها،إنه من طراز رقيق الحاشية لا أتصوره يخطط كالشيطان لكل هذا! بالطبع هو فاسد و منحل لكن ليس لدرجة القتل.

-لأنه من طراز رقيق الحاشية سيقول و هو ينظر في الأرض:"لقد أغواني الشيطان!" و لكل منا ثمنه يا يارا،و لقد كان ثمنه هي الثروة كلها.

-إذاً فأنت تلوم الشيطان لما حدث؟

-لا! الشيطان يغوي الجميع لكن الفارق في قابلية البعض للانجراف و المقاومة.

قالت و هي ترشف القهوة:

-و ما ثمنك أنت؟

قلت:لا أدري حتى الآن،أن دون ريكاردو أصر أن يكافئني فطلبت منه كيماويات معينة سأستخدمها في أبحاث ما،الله أعلم كيف سأستخدم هذه الكيماويات،يمكن عن طريق الخطأ أن تسقط في قهوة شخص ما أستفيد من موته،أو تشوه وجهاً أكرهه،إن كلنا عرضة للخطأ،لكن متى سأسقط؟ أنا لا أعرف ولا أريد أن أعرف!

تمت

obeikandl.com

القصة الرابعة:سم الأفعى.

(الجرائم مثل مسائل الجبر،إذا بانت إنها سهلة جداً فأنت قد اخطأت في الحل!)

أنا بطبعي أكره المقدمات،وأعتبرها إسراف و تبذير في صفحات الكتب لكني مضطر أن أقول مقدمة لهذه القصة،لماذا؟

لأن هذه القضية غريبة نوعاً،لأنها تدور حول المرأة،ذلك الكائن الرقيق رقة حد السكين!

القضية تدور حول عقل المرأة،إن ضعف المرأة هو الذي يجعلها ترتكب الجريمة وقوتها هي التي تؤدي إلي صعوبة اكتشاف الجريمة _كما قال بريزفورد_، هنا سأترككم مع القضية....

***

كانت ليلة باردة من ليالي الشتاء،الرياح تصفر ونسمع هطول الأمطار بوضوح،ليلة لا يمكن عمل أي شيء فيها سوى أن تضع قدمك في الجورب الصوفي و رأسك في الطاقية الكاستور و تدثر نفسك في البطانية وتنام،وكنت على وشك هذا فعلاً لكن على رأي المعلقين العرب :"لم يكن يدري أن سعادته لن تكتمل!" وجدت أخي معتز ينظر لي بابتسامة واسعة و على وجهه تعبير شماتة وقال لي:

- هل تريد أن تنام؟

رددت بسماجة:ليس هذا من شأنك؟

فقال لي:للأسف لن تنام!

-ماذا؟ هل تهلوس أم أنت مريض؟

- خالك سمير يرقد في المستشفى و قد أجرى عملية الزائدة الدودية و سنذهب لنطمئن عليه.

قلت بسماجة :لن أذهب! (الصباح رباح) و نستطيع الذهاب... وقبل أن أتم الجملة جذبني أخي سريعاً فنظرت فوجدت (شبشب) مطبخ (أبو وردة) يطير في المكان الذي كان فيه رأسي ونظرت إلي مصدر (الشبشب) فوجدت أمي ترمقني بنظرة تهديد و وعيد و نظر لي أخي نظرة شماتة فقلت مستسلماً :

-خمس دقائق و سأكون جاهزاً!

***

كدنا أن نتحول إلي عائلة من الإسفنج أثناء ذهابنا مشياً إلي المستشفى،فقد فعلتها السيارة معنا و رفضت أن تتحرك كأنها تلعننا لمحاولتنا الخروج بها في هذا الجو المقيت، ولعنت أنا أخي عندما قال أن المستشفى قريبة ولا داعي للمواصلات،وصلنا المستشفى و أنا لازلت أسب و ألعن و أحاول ألا أتجمد،وبعدها صعدنا لغرفة خالي فوجدنا أخوالي وخالاتي و أسرهم في الغرفة يزورنه، و أقسمت أمي إنه (خاسس النص) و يجب أن يأكل و أخرجت له حلة المحشي والفرخة التي سلقتها و حاولت أن تطعمه،و أشفقت أنا على أبي و الطبيب الذان

حاولا إقناعها أنه يجب ألا يأكل لفترة معينة و أومأ لي أخي فخرجنا من الغرفة وتركنا أمي تتفاهم مع الطبيب حول محاليل المستشفى التي لا فائدة لها -على حد قولها- وقفنا بالخارج و أخرجت علبة المسكن و ابتلعت منها قرصاً ثم جلست على أحد المقاعد و أغمضت عيني وحاولت أن أستفيد من تأثير المسكن لأنام وقرر أخي أن يقلدني فاسترخى على أحد المقاعد و أغمض عينيه و..... سمعت صرخة مدوية من أحد الغرف القريبة! تباً للراحة! انها كالقطة إذا أردتها هربت منك و إذا مللتها تمسحت بقدمك و ألحت عليك،قمت أنا و أخي وجرينا بقدر ماتسمح سرعتي إلي الغرفة،دخلنا فوجدنا رجلاً يبدو كأنه طبيب نائم على سرير بالغرفة وقد أغمد في صدره سكين كبير حتى المقبض،وكانت هناك فتاة شابة تجلس في ركن الغرفة و على وجهها ابتسامة حالمة و عينيها تحدق في الفراغ،أخرجت هاتفي المحمول و اتصلت بالمقدم إسماعيل عبدالرحمن من مباحث الاسكندرية، ألا تذكرونه؟ أنه ذلك الضابط العجوز الذي قابلته في النادي و تحديته،أظن أنني أصبحت لعنة في حياة الرجل لأنه يقابلني في كل جريمة ذهبت إليها،أخبرت المقدم بفحوى القضية فسمح لي بالعمل حتى تصل الشرطة التي ستتأخر بسبب سوء الأحوال الجوية،و طلب المقدم أن يكلم مدير المستشفى فبحثت عنه و أعطيته الهاتف فطلب منه المقدم أن يعطيني كل الصلاحيات على مسؤوليته،ما إن أنهيت المكالمة حتى دخلت الغرفة وقلت:

-أنا مفوض بالتحقيق حتى وصول الشرطة،سأسأل سؤالاً واحداً،من هؤلاء؟

تكلمت إحدى الطبيبات وقالت:سأخبرك.

أخرجت نوتة و قلم و قلت: اسمك و سنك و عملك و حالتك الاجتماعية؟

-دكتورة رضوى عماد الدين ،٣٤ سنة ،طبيبة تخدير في المستشفى،مطلقة و ليس لدي أطفال.

-ماذا تعرفين؟

-المرحوم يكون الدكتور سعد الشيشيني،واحد من أفضل جراحي المستشفى،و هذه تكون ابنته الآنسة ريم الشيشيني،المرحوم كان يتجاهل بناته و يضرب زوجته _هذا ما حكته ابنته_ و قد ترك منزله منذ بضعة أيام و أصبح يبيت هنا في هذه الاستراحة و اليوم جاءت ابنته جائت وكانت في حالة غير طبيعية وطلبت أن تقابله فدللتها على الاستراحة و يبدو أنه كان نائماً...
-ما مصدر هذه السكين؟

-هذا السكين كان معي، طلبتها من عم فتحي عامل الكافيتريا كي أقطع تفاحاً لي و لزميلاتي لأن لدينا (نوباتجية).

-تفاح؟

-نعم! التفاح منبه أفضل من الكافايين*!

قلت بمرح:أليس هذا مفيداً للصحة؟

ثم جاء عم فتحي و أقر بأن السكين سكينه وقد أعطاه مع نصف كيلو تفاح للدكتورة رضوى،أخرجت الشيئين الذان أصبحا لا يفارقاني،القفاز البلاستيكي وعدة البصمات (بودرة البصمات-فرشاة خاصة-شرائح بلاستيكية شفافة ونظيفة-محبرة) ارتديت القفازين ثم رفعت البصمات

من على السكين ثم ذهبت الي ريم و أخذت بصمات أصابعها و هي مستسلمة استسلاماً عجيباً كأن الأمر لا يعنيها ثم قارنت البصمات وقلت الجملة المشهورة:

- متطابقة!

ارتفعت صيحات الحوقلة و (يا عيني يا بنتي) و (شوفوا البنت مصدومة ازاي؟) لكني مع ذلك كنت غير مقتنع، الجرائم مثل مسائل الجبر،إذا بانت إنها سهلة جداً فأنت قد أخطأت في الحل

و كالعادة ظهر بوارو من ركن الغرفة كي يقول لي بإنجليزته العجيبة:

-صديقي لا ترتبك! هناك أشياء في غير أماكنها هنا!

هناك شيء غريب،شيء شاذ أو في غير مكانه فكرت قليلاً ثم نظرت في سلة المهملات بالغرفة و التقطت منها حقنة مثنية الإبرة،تباً! أرى الآن الحقيقة بوضوح!! وضعتها في كيس بلاستيكي شفاف و اندفعت خارج الغرفة مسرعاً وعدت بعد ٥ دقائق ومعي أحد الأطباء وممرضة و اعتذرت للناس المتجمهرين حول الغرفة ثم أقفلت الباب علي أنا و الطبيب و الممرضة،و بعد قليل خرجنا و الممرضة تسند ريم ثم جاء سرير متحرك يدفعه ممرض و ساعد الممرضة في وضع ريم عليه ثم انطلقا به وسألني أحدهم :

-ماذا سنفعل؟

---

*حقيقة علمية

قلت بهدوء مستفز:سننتظر!

وبعد فترة عاد نفس الطبيب و هو يمسك ببعض الأوراق وأشار إلي فذهبت وتحدثت معه لبعض الوقت ثم عدت ،كالعادة أنا محق! و الآن حان الوقت لأقول:

-بالطبع لا تفهمون لم فعلت كل هذا، لكني أستطيع تفسير كل شيء باستخدام هذه.

ثم أخرجت من جيبي الكيس البلاستيكي الشفاف الذي استقرت فيه الحقنة الصغيرة.

ثم استطردت:أنتم تعرفون أن الحقن توضع في حاوية مكتوب عليه (حاوية المخلفات الطبية شديدة الخطورة) لكني وجدت الحقنة ملقاة بإهمال شديد في سلة القمامة في الغرفة،هذا يؤدي لمعنى مهم،ريم لم تقتل أباها!

سرت همهمة بين الناس و أكملت:

-كيف؟ سأخبركم! في مكان الوريد في ذراع الضحية هناك علامة حقن،ملحوظة لا تمر بسهولة فأجريت تحليل دم وشكوكي كانت في محلها! الطبيب تم حقنه وهو نائم بحقنة هي جرعة عالية من مزيج الأتروبين و المورفين! لمَ هذا الخليط؟ لأن المورفين يمحوا أعراض التسمم بالأتروبين والعكس بالعكس،هذا شيء لا يعرفه إلا طبيب،معنى هذا أن الضحية ماتت قبل الطعن،ثانياً هناك شيء واضح من شكل أصابع ريم وبعد فحص أجريناه للأسنان علمنا أنها مدخنة شرهة و لم تكن لترفض عرض سيجارة!

ثم أخرجت كيس بلاستيكي شفاف اخر به سيجارة واستطرد:

-وهذه هي السيجارة! إنها ليست عادية،إنها محشوة بنبات ظريف اسمه (القنب الهندي) او الماريجوانا! هذا النبات مغيب للوعي وتاريخياً كانت هناك طائفة من القتلة اسمهم الحشاشين في فارس تدخن هذا النبات فيصبحون كالمنومين مغنطيسياً و يأمرهم أميرهم (الحسن بن الصباح) أن يذهبوا لاغتيال الشخص المراد اغتياله و لو قبض عليهم سيكونوا كمرضى ألزهايمر لا يذكرون أي شيء!

سأسرد ملخصاً للأحداث،القاتل حقن الضحية بالمادة القاتلة ثم استقبل ريم وعرض عليها السيجارة،ريم دخنتها و أطفأتها في المطفئة -حيث وجدتها- لكن وعيها غاب فأعطاها القاتل السكين و أمرها أن تطعن الجثة وتنتظر بجانبها و هي نفذت، لكن لحسن الحظ القاتل ترك خلفه خطأ بسيط لكنه قاتل، بصمته على السيجارة التي قدمها لريم! بصمتك أنت يا دكتورة رضوى!

قالت الطبيبة باستسلام:لا فائدة! لقد قمت بهذا فعلاً و أنت محق! لقد تزوجت الدكتور سعد عرفياً وكل الكلام الذي قلته عن ضربه لزوجته كان كذباً، وهو يحب زوجته لكنه تشاجر معها، و في هذه الفترة تزوجنا، لكنه بدء يحن لها و يفكر أن يتركني ويصلح حياته مع زوجته لأن ابنته كانت تأتي كل يوم منذ ترك منزله لتكلمه حتى أقنعته!

ثم بكت و اكملت: خططت لكل شيء كي أقتله و تتهم ابنته التي كانت السبب في بعده عني! لقدكنت أحبه! أحبه! و أكرهه في نفس الوقت!

أخرجت منديلي كأي سيد مهذب واعطيته للطبيبة و قلت:

-أنت لم تحبي شخص غير نفسك فقط! لقد قتلتي شخص وكنتي ستدمرين عائلة بأكملها!

ثم ابتسمت بينما سمعنا سارينات سيارات الشرطة مختلطة بصوت نقرات الأمطار!

تمت

obeikandl.com

القصة الخامسة:الشاهد الوحيد!

(قصة متعددة الرواة)

الراوي الأول:معتز محجوب غراب

(تستطيع تكريم الميت بدفنه...بالصلاة عليه...بالخروج في جنازته....بحضور عزاءه....بالدعوة له.....بالتصدق له صدقة جارية،لكن الخروج في مظاهرة للمتاجرة بدمه، هذا جديد.)

كانت إحدى أيام الصيف الجميلة،ذلك الوقت في نهاية أغسطس حينما يتكالب الجميع على اللهو و الفسح قبل بداية الدراسة،لكني لم أهتم بهذا كالعادة -و إن كنت اتفقت على دورتي كرة قدم- لكني ذلك اليوم ذهبت إلي المدرسة، صعدت الدرج إلي غرفة الموسيقى و طرقت الباب فسمعت صوت مدرستي الأستاذة سناء يدعوني الي الدخول فدلفت إلي الغرفة لأجدها و معها فتاة في مثل سني،عندما رأيتها أحسست برعدة كهربائية تسري في جسدي و دفء غريب يغمر قلبي و تحاشيت التقاء عيني بعينيها الزرقاوين الواسعتين،كان ترتدي فستاناً أبيض و قد تركت شعرها فاحم السواد ينسدل على كتفيها وقد علت حمرة الخجل وجهها ناصع البياض،قالت لي ميس سناء:

-أنت تعرف أن هناك مسابقة موسيقية ستشارك فيها أنت و عماد.

-نعم.

-لكن عماد اعتذر لأنه سيسافر،دعني أعرفك بزميلتك الجديدة التي جائت المدرسة حديثاً، أمنية،أمنية دعيني أعرفك بمعتز.

همست أمنية بشيء أدركت إنها ترحب بي فرددت لها التحية و أمسكت بكماني وقلت:

-هل نبدأ؟

فردت ميس سناء:نعم،هل أنت جاهزة يا أمنية؟

أومأت أمنية برأسها وجلست على الكرسي أمام (الأورج) وبدأت تختبره وبدأت أنا أختبر كماني،ثم بدأنا نعزف معاً ونظرت لها و أنا أعزف، أيخيل لي أم هذه دموع تترقرق في عينيها الزرقاوين.....لا! إنها حقاً دموع! فهي تمسحها خفية كل فترة! لكن لماذا هي حزينة؟ وفجأة رن هاتف ميس سناء المحمول فاستأذنتنا وخرجت لترد على الهاتف ،فأخرجت منديلاً لأجفف عرقي،حسناً،أنا فضولي و يجب أن أعرف:

-ما بك يا أمنية؟

همست بصوت ملائكي:لا شيء.

لكنها رفعت إلي عيناها الزرقاوين وطبعاً تعرفون ما حدث،من الصعب وانت في هذه السن الصغيرة ان تكتم دموعك وخاصة لو كنت فتاة!

***

قدمت لها منديل فمسحت دموعها و هدأت و قالت بتلعثم:

-أ....أنا آسفة! العزف يحرك..... أشياءً بداخلي.

-فلتحكي لي.

نظرت لي فابتسمت ابتسامة دافئة فابتسمت و قالت و هي تنظر للأرض:

- أنا وحيدة جداً،ليس لي أصدقاء،لا أحد يتقبلني.

-أمنية.

-ماذا؟

-اعتبريني صديقك.

قالت وهي تمسح دموعها عن وجهها الصغير:

-هل يمكنك أن تتقبلني؟

-بالطبع!

-لماذا أنت؟ و لماذا هم لا؟

قلت في نفسي أن الأرضيين لا يتقبلون السماويين مثلك يا فتاتي،أنت نقية،نقية أكثر من اللازم و قبل أن أرد هوت صفعة من اللامكان على قفاي،بالطبع كان علي أن أتوقع هذا! أخي اللدود أحمد هنا!

المهم إنني كدت أن أنفجر فيه لكني تمالكت نفسي وقلت:

-ماذا دهاك؟

قال و هو ينظر ليده بفخر:

obeikandl.com

-إفاقة سريعة لتعود لعالم الواقع! ستشكرني على هذا لاحقاً!

قلت لأمنية محاولاً استفزازه بطريقة طفولية:

-أعرفك بأخي أحمد،مجرد أحمق آخر يظن نفسه شيرلوك هولمز.

هم بأن يقول شيئاً فقلت مقاطعاً :

-"انا لست شيرلوك أنا هيركيول بوارو" أعرف ما ستقوله،أنت تكرر هذه الجملة كثيراً.

قال بخبث:أنا مخطئ إنني جئت لهنا،سأتركك كي تموت جوعاً،بالمناسبة لقد جاءت وزارة الصحة و أزالت عربة (حيحو) لأنه كان يبيع لحم كلاب!

قلت وأنا أشعر أن أذناي أصبحتا كثمرتي طماطم ناضجتين:

-(حيحو) من؟

قال بتلذذ:هل نسيت حيحو أيها النذل؟ أنها عربة شطائر الكبد القذرة التي....

رفعت أصبعي إلي فمي معتذراً،فلتقل لي أن عربة شطائر الكبد التي آكل منها لمدة سنتين تبيع لحم كلاب،لكن لاحقاً من فضلك،لكن لا تحرجني أمام أمنية،قاومت شعوري القوي بالغثيان، لكنه قال -و في لحظة لا تتكرر من الكرم الحاتمي- أنه سيصحبني أنا و أمنية إلي مطعم فاخر شهير و أقسم على أمنية قسما مغلظاً أن تأتي ،وبطبيعة الحال استأذن والدتها التي كانت تنتظرها لكي تنهي تدريبها وبعد تردد

وافقت بعد أن تعرفت أحمد من صورته المنشورة في الجرائد، ذهبنا إلي المطعم و جلسنا على الطاولة و ماكدنا نستقر طلب احمد طعاماً لأثنين فقط قائلاً انه ليس جائعاً، ثم رن هاتفه فرد:

-آلو يا شوقي! كم النتيجة؟.....ماذا!..... ١-٠ لهم.....كم بقى على نهاية المباراة؟ .....نصف ساعة! هممممممممم سآتي إليك،إلي اللقاء.

ثم قام وقال:فلتبقيا هنا و سأعود.

قلت:إلي أين أنت ذاهب؟

-اليونايتد في مأزق و المقهى بجانبنا و بقى نصف ساعة على نهاية المباراة،لن أتأخر.

فقلت مستسخفاً:هل تتوقع أن اللاعبين عندما يروا فخامتكم سيلعبون جيداً؟

قال بصرامة:حتى لو خسروا يجب أن أشاهد المباراة!

ثم انصرف سريعاً فجلست أمام أمنية وقلت:

-هل تعرفين ما هي هواية أحمد ؟

-امممممممم دعني أخمن! تعذيب فئران التجارب!

ضحكت و قلت: ليست بعيدة عن شخصية أحمد،لكن هوايته هي حل الجرائم.

نظرت لي مستغربة ثم قالت:لهذا قالت أمي إنها رأت صورته في الجرائد من قبل.

فأخذت أروي لها بعض القضايا التي حلها أخي و نحن نأكل وهي تستمع غير مصدقة ثم قلت لها:

-وهوايته الأخرى التي علمها لي هي الألعاب السحرية.

-كيف؟

-هكذا!

ثم فركت يدي و أخرجت زهرة بيضاء واعطيتها لها،ففتحت فمها مبهورة وقالت:

-Merci!

جلسنا نتحدث معاً في كل شيء،ثم جاء أخي وعلى وجهه ابتسامة واسعة أدركت منها أن لاعبي اليونايتد مارسوا هوايتهم المعتادة في التسجيل في اللحظات الاخيرة،وعندما رأى الزهرة في يد أمنية ارتسم على وجهه تعبير الفنان محمود عبد العزيز (يا زيدي يا زيدي!) ثم قال:

-هل أنتهيتما؟ رائع! هيا بنا!

قلت له:لحظة ألن تدفع الحساب؟

كان هذا المطعم من النوع الذي إذا شربت كوب ماء فيه تصيبك الفاتورة بذبحة صدرية،لكن أحمد قال:

-لقد سرق هذا المحل ذات مرة و كنت ماراً من أمامه بالصدفة و أنت تعرف الباقي! لدي كوبون بالأكل هنا مجاناً لمدة عام!

كان يجب أن أتوقع هذا،هذا الكرم الحاتمي لا يمكن أن يكون بلا تفسير.

خرجنا من المطعم و انا وأمنية نثرثر ونثرثر ونثرثر،تكلمنا عن كل شئ تقريباً،لكن لماذا كان قلبي يخفق بقوة؟ ولماذا أحس بسعادة طاغية دون سبب لمجرد الحديث معها؟ لم أشغل بالي بتفسير هذا لأني كنت وقتها أقرب الي الطفولة،تبادلنا حسابي (الفيس بوك) وعندما اوصلناها عدت الي بيتي مع أحمد وانا اكاد أطير فرحاً،لكني أيضاً لا أدري لماذا،بينما كنت ساهماً أفكر في كل هذا للمرة الثانية في نفس اليوم يصفعني أحمد على قفاي!

ثم دخل غرفته قائلاً:

-ستشكرني على هذا لاحقاً....تصبح على خير!

***

أصبح ذهابي إلي تدريب العزف يمثل سعادة حقيقية لي،كنت بعد التدريب أتنزه أنا و أمنية معاً وتعاونا بشكل ممتاز في التدريب،لقد كنا نقرأ أفكار بعضنا البعض،لذا لم احس برهبة المسرح المعتادة عندما قدمنا مقطوعتنا الثنائية في المسابقة التي أقيمت في مسرح مكتبة الأسكندرية ليلاً،صفق لنا الجمهور كثيراً،وحصلنا على المركز الثالث ايضاً! وكان هذا شيء جيد بالنسبة لي و لها،كانت هي سعيدة للغاية بكل شيء وعندما خرجنا قالت إنها سترحل وحدها لأن سيارة والدها

تنتظرها في نهاية الشارع،لم اطمئن كثيراً لسيرها في ذلك الشارع المظلم وحدها لكنها قالت لي ألا أقلق، قال أخي بغرور وقح:

-كان العرض رائعاً! لكن لو عرضت أنا مقطوعة لمدة سبع ثوان فقط بالـ(ساكسفون) لتفوقت عليكم...

لم يكمل أحمد جملته فقد صمت آذاننا صرخة عالية قادمة من الشارع القريب،والمشكلة اني اعرف هذا الصوت جيداً! تركت كل شيء وجريت نحو مصدر الصوت بأقصى سرعتي بينما تبعني أحمد وهو يعرج بأقصى سرعته ورائي حتى وصلنا فوجدنا أمنية نائمة فوق الأرض وهي ترتجف بشدة ثم همدت حركتها تماماً وكان هناك شخص يحمل سكيناً يقطر الدم لم نتبينه لأن ضوء عمود النور خلفه جعله مجرد (سيلويت) لكنه عندما رآنا فر هارباً و انحرف إلي أحد الشوارع،هممت أن ألحق به أوقفني أخي لثوان سمعنا فيها صوت سيارة تنطلق ثم قال لي:

-كما توقعت معه سيارة!

انطلقت كالملسوع نحوها لكن أخي –كان وقتها في السنة الثانية لكلية طب- أزاحني برفق ثم فحص جسدها و غمغم:

-لا تقلق،مجرد صدمة نفسية،اتصل بالإسعاف.

أخرجت هاتفي المحمول واتصلت بالإسعاف بينما سار أحمد بهدوء نحو عمود النور و هناك لاحظت لأول مرة أسفله جسد مسجى وسمعت أخي يناديني:
-وبعدما تتصل بالإسعاف اتصل بالشرطة.

بعد فترة جاء المقدم إسماعيل عبد الرحمن على رأس فريق التحقيق الذي بعثته الشرطة وما إن رأى أحمد حتى قال بغيظ:

-بالطبع ستقول لي أن هذه صدفة أيضاً! لقد أصبحت منتشراً أكثر من اللازم يا فتى حتى إنني أخاف أن أجدك داخل حذائي أو داخل براد الشاي كما كانت تفعل العقارب معي عندما كنت في صحراء مطروح، هذه المدينة لا تسع كلينا كما يبدو!

قال أخي بهدوء:أؤكد لسيادتك أنك ستحب أسوان لو جربت حظك هناك.

ابتسم الرجل وقد سرته الدعابة.

استطرد أحمد:

-هذه القضية لا تهمني غير في شيء واحد،أن صديقة أخي الصغير -في مقام أختي الصغيرة- لديها صدمة نفسية،و المشكلة إنها الشاهد الوحيد الذي رأى القاتل،القتل كان بسبب قطع في أوردة وشرايين الرقبة،هذه آخر كلمة سأقولها في القضية.

ابتسم المقدم بمرارة:لكن هذه المرة أنا مضطر أن ألجأ لمساعدتك هل تعرف من الضحية؟

-أعرف يا سيدي،الضحية هي الآنسة هناء الشربيني،طالبة بكلية هندسة،ناشطة حقوقية علمانية.

-واضح إنك مهتم بالنشاطات الجامعية.

قال أحمد:أسمع بعض الأقاويل فقط....

قال الرجل: المهم أنت تعرف ماذا سيحدث،أصدقاؤها صوتهم عال أكثر من اللازم،أنت بالطبع رأيت وضعية الجثة،الضحية لم تكن محجبة لكن جثتها محجبة و ربطة الحجاب خطأ،هذا معناه أن هناك من ألبسها الحجاب قسراً،ثم هناك هذه الورقة.

وناول أخي ورقة قرأها اخي بصوت عال: "نحن جماعة الأمة الإسلامية نعلن اقامة حد الحرابة على الفاسقة هناء الشربيني ولعل حجابها يخفف من عذابها،الله أكبر ولله الحمد."

ثم قال أخي للمقدم مبتسماً: سأسكت أنا و سأدع الأدلة تتكلم.

ثم أمسك بيد الضحية وقال:هل ترى الجروح التي تتخذ شكل نقاط على أصابع الضحية؟ إنها ناتجة عن دبابيس الطرحة، هذا يعني انها لبست الحجاب بكامل إرادتها،من طول الجرح القاتل المتوسط و توزيع الدماء على الأرض أستطيع أن أقول أن القاتل كان يقف أمام الضحية و ليس وراءها كما يقتضي وضع الإعدام، ثالثاً الورقة نفسها،من شكل قطع حرف الصفحة الذي كان مرتبطاً بكشكول و خط الكتابة يوضح أن من كتبها كان في عجلة من أمرها و أراد تلفيق التهمة لشباب التيار الإسلامي

ثم التقط من بركة ماء مجاري كشكول سلكي صغير وقال وهو يقلبه:

-حتى الورقة أخذت من كشكول الضحية،من الواضح إنها مفكرتها،و و قد ألقيت في بركة مية المجاري لإعدام البصمات.

ثم قال بثقة:القاتل ليس من التيار الإسلامي،بالعكس أنه عدو له!

***

كان أحمد يتناول الشاي و يطالع الجريدة كعادته كل صباح،عندما استرعى انتباهه خبر فألقى الجريدة بعصبية و أمسك بهاتفه المحمول و طلب رقم معين فقمت ونظرت للخبر فوجدت :

"جريمة قتل بشعة.....مقتل ناشطة حقوقية بيد متطرفين"

"الشرطة تلقي القبض على ٤ من المتطرفين"

"شباب التيار الاسلامي الذي ينتمي له الاربعة: لسنا نحن!"

عندئذ ارتفع صوت اخي وهو يتحدث:

-آلو....صباح الخير يا سيادة المقدم.....أنا بخير و لله الحمد.....هل قبضتم على القاتل؟.....لا! إذاً من هؤلاء الذين قبضتم عليهم؟.....ماذا تعني بتهدئة الناس يا سيدي؟ تقبض على أبرياء وتسوء سمعتهم كي تهدئ الناس؟.....إذاً أنا أريد صلاحيات كاملة كي استطيع التحقيق ..... شكراً يا سيدي..... في حفظ الله.....و عليكم السلام و رحمة الله وبركاته!

ثم أغلق الهاتف وقال لي:

-أنا ذاهب لكلية هندسة لكي أتحقق من بعض الأمور هل تأتي معي؟

-نعم!

نزلنا معاً و تمشينا حتى وصلنا الي الكلية وهنا دخلنا و وجدنا مظاهرة مكونة من ٣٠ فرد تقريباً داخل الكلية عند مبنى (هندسة الكهرباء) يقودها شاب أشعث الشعر.

"في الجنة يا هناء"

"لستم مسلمين بل متأسلمين"

"شهيدة الكلمة هناء الشربيني"

تلك كانت شعارات تلك المظاهرة التي لم تخلو من مشادات كلامية مع بعض الشباب من خارج المظاهرة،أشار اخي لقائد المظاهرة أشعث الشعر وقال لي:

-هذا يكون فريد السباعي،واحد من قادة التيار العلماني،راقبني و تعلم!

تقدم أخي من المظاهرة ثم بدأ يصفق بقوة بطريقة مسرحية جداً فهدأت المظاهرة و التفت الجميع لأحمد الذي قال:

-أداء ممتاز! يمكنك التقديم في فريق المسرح في الجامعة! صدقني ستأخذ مركزاً متميزاً! يا....فريد!

هنا قال فريد:من أنت؟

قال أخي و هو يقترب منه:أنا؟ أنا شخص يعرف إنك تستطيع تكريم الميت بدفنه...بالصلاة عليه...بالخروج في جنازته....بحضور عزاءه....بالدعوة له.....بالتصدق له صدقة جارية،لكن الخروج في مظاهرة للمتاجرة بدمه، هذا جديد.

هنا احتقن وجه فريد غضباً و قال:

-متاجرة بالدم؟! أنا أريد حق هناء!!!

قال أحمد بنفس البرود و قد أصبح على بعد خطوة من فريد:

-جميل جداً،و الأجمل أن تفكر في كل خطوة تقدم عليها و تركز جيداً لا تتصرف بشكل خاطئ.

-أنا أعرف ماذا أفعل.

-المشكلة يا سيدي هي إنك متعصب للأفكار،و ممكن أن تفعل من أجلها أي شيء،حتى لو جريمة و أيضاً قد تتاجر في لحم الضحية !

قال فريد بغضب أكثر: ماذا تقصد؟

قال أحمد و بروده يزداد:أنا لا أقصد شيئاً.

ثم أخرج من جيب معطفه علبة عصير و ناوله له قائلاً:

-هدئ أعصابك! تمتع بروح رياضية!

نظر له فريد ثم تناول العلبة بيده اليسرى عندئذ ابتعد أخي و قال:

-الأحمق ابتلع الطعم.

قلت لأحمد: من؟

-القاتل بالطبع! ألم تلاحظ أن فريد أمسك العلبة بيده اليسرى؟ لو نظريتي صحيحة فهذه الفتاة التي تسير ورائنا تريدني في شيء،لا تنظر للخلف!

obeikandl.com

عندئذ نادت الفتاة:

-أستاذ أحمد.

ابتسم أحمد وقال لي : فلتذهب أنت.

ثم استدار للفتاة،كانت قصيرة القامة،سمراء،ممتلئة الوجه قليلاً،شعرها أسود مجعد و قصير،قال أخي:

-دكتور أحمد إذا سمحتي!

تكلمت وقالت:هل يمكن أن آخذ من وقتك دقيقة؟

***

obeikandl.com

الراوي الثاني:د\أحمد محجوب غراب

(قد قالت لي عدة مرات أنها تتمنى أن تراني جثة تتصارع عليها الكلاب الضالة و قد أعربت عن رغبتي في أن أرى جسدها على طاولة التشريح،و الآن من المفروض أن رغبتي قد تحققت لكنني بالطبع لم أكن سعيداً لأنها تحققت! بل أنني أبحث عن القاتل كي أنتقم منه -و أظن أنه لو انعكس الوضع ستفعل ما أفعله الآن-.)

جلسنا نتحدث على أحد مقاعد الكلية،كانت تمسك بهاتفها المحمول و تنظر إليه من وقت لآخر بتوتر،كان ينطبق عليها وصف (فتاة ذات عينين قلقتين) الذي سبق أن ذكره مسيو هيركيول بوارو، نظرت لي وقالت:

-بالتأكيد أن تعلم فيما أريدك.

-أول مقابلة تستلزم التعارف!

صمتت قليلاً ثم قالت بشيء من العجلة:

-اسمي رانيا،كنت صديقة للمرحومة هناء و كلانا عمل مع فريد في مشروع العلمانية.

استطردت:نعود لموضوعنا بالتأكيد أنت توصلت للقاتل!

قلت بهدوء:المسألة كانت واضحة،واضحة أكثر من المعتاد.

قالت:و بالتأكيد عرفت أن فريد هو القاتل.

صمت قليلاً ثم قلت: كما قلت المسألة واضحة،هناء ارتدت الحجاب بكامل إرادتها! بنسبة ٤٠% هي قررت تترك الفكرة العلمانية و اقتنعت بالفكرة الإسلامية،لكن هذا سيضر فريد –المجنون لحد كبير بفكرته- في عدة أشياء، أولاً:سيفقد واحدة من أفضل معاونيه.

ثانياً:هناء كانت لديها قدرة كبيرة على الإقناع و كانت تستطيع أن تدمر حركته و حلمه.

ثالثاً:معظم من معه في الحركة جاءوا بسببها و سيفقدهم بسهولة.

-إذاً لم لا تتصرف الشرطة؟

-ليس هناك أدلة، لا يوجد سوى شاهد واحد فقط و هي فتاة صغيرة ترقد في المستشفى و هي مصابة بفقدان ذاكرة جزئي مؤقت بسبب الصدمة،لكن لو عادت لها ذاكرتها،القاتل سيتأرجح من عنقه للمرة الأولى و الأخيرة في حياته!

ثم استطردت: أو سنختصر الخطوة و أجد أنا أدلة جديدة و لن نحتاج لشاهد،و حتى يحدث هذا حياة الشاهد ستكون في خطر.

-هل أستطيع أن أساعدك في شيء؟

قلت:أريد الذهاب لبيت هناء،أظن أن ما أحتاجه سيكون هناك.

قالت وهي تعبث بهاتفها المحمول الذي لم تتركه ثم رفعته لأذنها :

-سأكلم والدتها كي تستقبل

***

اتصلت رانيا بوالدة هناء و مهدت لمجيئي لهم لاستيفاء بعض نقاط التحقيق -كنت مشهوراً في تلك الآونة و شهرتي سهلت لي العديد من الأشياء- و ذهبت بالفعل وقابلت والدتها و أختها وبعد أن شربت القهوة السادة قلت:

-سأتكلم معكم بصراحة الشاهد على الجريمة هي فتاة صغيرة و حياتها معرضة للخطر من القاتل،لذا فأنا أحتاج أي خيط يوصلنا له قبل أن يضرب ضربته.

أومأت الأم برأسها متفهمة فاستطردت :

-فقط سأسأل بعض الأسئلة البسيطة....

اعتذرت الأم عن إجابة أي أسئلة وتفهمت الأمر فبدأت الحديث مع أختها التي تدعى هويدا التي بالكاد تتمالك نفسها بدأت أسأل:

- إلي أي مدى كنت قريبة من أختك -رحمها الله-؟

- قبل دخولها الجامعة كنا قريبتان جداً لبعضنا لكن بعد دخولها الجامعة -أي منذ ٣ أعوام- ابتعدنا عن بعضنا تدريجياً،كانت منهمكة في أنشطة كثيرة،لكن منذ ثلاثة أسابيع فقط عدنا قريبتان لبعضنا مرة أخرى..... كنت أعتقد إننا سنرجع لسابق عهدنا.....

هنا توقفت عن الكلام وبدأت تبكي،تباً!!! كنت أعرف هناء من قبل و ناقشتها عدة مرات و ناظرتها مرة -بالطبع كانت لي اليد العليا- و كانت تعتقد إنني وغد إرهابي متطرف و أنا أعتقد أنها منحطة لا أخلاق لها،و قد قالت لي عدة مرات أنها تتمنى أن تراني جثة تتصارع عليها الكلاب

الضالة و قد أعربت عن رغبتي في أن أرى جسدها على طاولة التشريح،و الآن من المفروض أن رغبتي قد تحققت لكنني بالطبع لم أكن سعيداً لأنها تحققت! بل أنني أبحث عن القاتل كي أنتقم منه -و أظن أنه لو انعكس الوضع ستفعل ما أفعله الآن- .

إن الموت -حتى لو كان موت غريمك- سيبقى صادماً،لأنه لحظة الحقيقة الوحيدة في دنيانا الأشبه بالمزحة،هذه الفتاة التي كانت تناقش و تناظر و تخرج في المظاهرات و تسبني الآن تحدق في الحديد في ثلاجة المشرحة،يا إلهي!! اللهم لا تكلنا لأنفسنا طرفة عين أبداً.
أعطيت هويدا منديلاً وقلت:

-هويدا! أرجوك لو كنت تحبين هناء الله يرحمها ساعديني كي أجد قاتلها.

قالت من وسط دموعها:هل ستعيد هناء إذا وجدته؟

-لو وجدته سأحمي فتاة صغيرة يمكن أن يحدث لها ما حدث لأختك.

بدأت تتمالك أعصابها مرة أخرى و قالت:

-أنا بخير لو أردت إكمال الأسئلة.

قلت محذراً:هل أنت متأكدة؟ يمكنني أن آتي في أي وقت آخر.

-لا بل الآن!!

قلت:حسناً،عندما عادت هناء تقترب منك،ماذا كان الموضوع الذي كنتما تتكلمان فيه غالباً؟

-كانت تناقشني في مسألة فلسفية ،ما هو الصحيح و ما هو الخطأ؟

-مممممممممممممممممم،سأطلب منك طلباً محرجاً إذا سمحت.

قالت بابتسامة حزينة:بالتأكيد تريد أن ترى غرفتها.

قلت في شئ من الحرج:هذا بعد إذنك بالطبع.

قامت دون ان تتكلم و قادتني للغرفة،كانت تظهر التجلد لكن يدها كانت ترتعش وهي تضعها على أنفها لتغالب دموعها،إنها فتاة قوية.

قالت لي و هي تفتح الباب:رجال الشرطة فتشوها دون فائدة.

فقلت:رجال الشرطة ليسوا أحمد محجوب غراب يا آنستي،يحتاجون إلي سنين من التطور الذهني كي يصلوا لربع مستواي!

دخلت الغرفة و أنا أتمتم بالفاتحة و ألقيت نظرة شاملة عليها،كانت غرفة صغيرة بها مكتب و مكتبة،و دولاب للملابس و (سراحة) أو (تسريحة) كما يقول البعض و سلة قمامة صغيرة،تقدمت بهدوء للمكتبة،كانت لدي فكرة معينة أريد تأكيدها، سحبت بعض الكتب من المقدمة وشممتها وكان معي حق، كتب للشيخ محمد الغزالي و الدكتور مصطفى محمود و علي عزت بيجوفيتش،لا تزال بها رائحة المبيد الذي يرشه بائعي الكتب عليها لحمايتها من أن تكون وجبة للحشرات و الفئران،أي أنها أشتريت تقريباً في فترة بين من ثلاثة أسابيع مضت إلي الآن! انحنيت وتفحصت سلة القمامة،كان بها حقيبة بلاستيكية تخص أحد محلات أزياء المحجبات،ومعها فاتورة شراء تشير انه المنتج المشترى هو طرحة! ابتسمت في نصر،لقد تأكدت بنسبة ٩٥% من فكرتي! لكن

صبراً يا أحمد! فأهم دقائق المباراة هو الوقت البدل ضائع! لذا فاتجهت للـ(لاب توب) الموجود فوق المكتب وقمت بتشغيله ليأتيني صوت سناء:

-لا تتعب نفسك،الشرطة فرغت كل شيء على القرص الصلب و لم تجد شيئاً.

-هذا لو سأبحث في القرص الصلب،أنا سأبحث عن شيء في حساب الـ(فيسبوك) الخاص بها.

-كيف!؟ أنت لا تعرف كلمة المرور.

قلت و أنا أطرقع أصابع يدي:

-لكني أعرف البشر! بما أن هذا جهاز هناء فبالبديهة ستجعل المتصفح يحفظ كلمة المرور الخاصة بها كي لا تضطر أن تكتبها كل مرة.

فتحت الـ(فيسبوك) وبحثت عن بعض الاشياء وكان معي حق،ليس في هذه النقطة فقط،بل في كل شيء!!! إنني أعرف القاتل! و أظن أنكم عرفتموه! المسألة كانت واضحة جداً! وضوح الشمس في رائعة ضوء النهار!

***

ذهب أخي إلي المستشفى كي يطمئن على أمنية،فوجدني هناك و كان ضباط الشرطة يستجوبون أمنية وهي تضع يدها على رأسها و تبكي قائلة:

-لا أذكر أي شيء! صدقوني لا أذكر أي شيء!!

أمسكت بذراع ضابط الشرطة وقلت له:

-إذا سمحت فأنا أريدك في كلمة.

أنهى الضابط الاستجواب وخرج معي و قال:

-ماذا سنفعل؟

قلت و أنا أخرج كيس سكر نبات و أتناول بعض البلورات –سكر نبات\بلورات بها موسيقى!-:

-الفتاة مصابة بصدمة سببت لها فقدان ذاكرة مؤقت جزئي لما حدث،لكن من الممكن أن تتذكر في أي وقت.

-هذا يعني.....

-بالضبط،لقد أصبحت قنبلة موقوتة بالنسبة للقاتل،و بالتأكيد سيحاول أن يصل لها كي يسكتها،لمرة واحدة وللأبد!

ابتسم الضابط و قال: و عندما يصل.....

أكمل أخي:ستكونون جاهزين!

رحل الضابط و معاونيه وترك عسكري نحيل الجسد و معه بندقية -بالتأكيد كانت من ضمن أسلحة الجيش العثماني في معركة أبي قير البرية- على باب غرفة أمنية و قال لي أخي -ذلك الأحمق- لائماً:

-هل ستستعمل أمنية كطعم؟

obeikandl.com

قلت بصرامة:سواء قمنا بالكمين أو لم نقم به القاتل سيحاول أن يصل لها!

ثم دخل الغرفة ودخلت وراءه و جائت الممرضة تحمل لأمنية غدائها المكون من وجبة و كوب لبن بارد،كادت أمنية أن تأكل لكني أوقفتها و تناولت الكوب وقربته من أنفي ثم وضعته بسرعة و قلت لأمنية:

-لاتأكلي أو تشربي أي شيء.

ثم خرجت وعدت بعد قليل ومعي طبيب و ضابط الشرطة الذي كان يستجوب أمنية،قرب الطبيب الكوب من أنفه ثم قال:

- معك حق،هناك من وضع في الكوب أملاح السيناید، رائحة اللوز المر واضحة.

-كنت أعرف.

جاء أحد المخبرين وقال:

-من يدعى فريد الذي أدلى أحمد بأوصافه شوهد و هو يمر أمام المستشفى.

جاءت ممرضة بطعام آخر لأمنية التي كانت تبكي ورفضت أن تأكل إلا عندما أكد الطبيب أن هذا الطعام آمن،خرجت من الغرفة فوجدت رانيا أمامي فقالت:أحمد! ماذا حدث؟

-القاتل بدأ يتحرك!

-و هل قبضتم عليه؟

-لا،لكن ساعاته أصبح محدودة!

كانت الساعة التاسعة مساءً حين جاءت عائلة أمنية لتطمئن عليها و روعوا لما حدث و في نفس الوقت طلب الضابط منهم أن يأتوا معه ليستوفي بعض نقاط التحقيق منهم في القسم،وهنا قالت أمها برعب:أنا لن أترك ابنتي!

قال الضابط: يا مدام لقد تركت معها حراسة .

-ولو!

هنا تدخلت: لاتقلقي يا سيدتي،أنا و معتز سنكون معها.

***

بصعوبة بالغة استطعت أن أقنع والدة أمنية بأن أبقى أنا و معتز معها حتى تعود من القسم و هكذا جلسنا نحن الثلاثة في الغرفة وكانت الساعة العاشرة عندما شممنا رائحة دخان،نظر أخي من النافذة فوجد شجرة بجوار المبنى بعيدة عنا تحترق وقد احاط بها التمورجية و أمن المستشفى و عساكر الحراسة يحاولون إطفائها.

قال أخي برعب:بالتأكيد هذه حركة من فريد ليبعد الحراسة!

صرخت أمنية بهيستريا:

-أنه هنا! سيقتلني! سيقتلنا جميعاً!

ثم بدأت تبكي بحرارة،عندئذ قال أخي لها:

-أمنية! أمنية! لن يحدث شيء إن شاء الله! أمنية هل تستطيعين؟

رفعت رأسها و أومأت أن نعم.

-إذاً غني معي! هل تعرفين أغنية (لن تمشي وحدك أبداً) You'll Never Walk Alone؟

أومأت مرة أخرى.

-إذاً غني معي!

بدءا يغنيا متشابكي الأيدي -تباً إنها أغنية نادي ليفربول اللعين و لا وقت لدي لصفعه مرة أخرى!-:

عندما تسير.....عبر العاصفة.....أبقي رأسك مرفوعاً

ولا تخشى.....الظلام

عند نهاية العاصفة.....توجد سماء ذهبية

والغناء الفضي.....الحلو

(صوت قدمين تقتربان من الغرفة)

سر عبر الرياح

سر عبر المطر

حتى و لو قُذفت أحلامك و طارت

(صوت خربشة على الباب)

obeikandl.com

سر.....سر.....والأمل في قلبك

ولن تسير لوحدك أبداً

لن تسير لوحدك أبداً

(بدأت أستعد للمواجهة)

سر.....سر.....والأمل في قلبك

ولن تسير لوحدك أبداً

لن تسير..... لوحدك أبداً .

بدأ الباب يفتح فقلت لأخي:

-آسف لقطع هذه الحفلة يا فرانك سيناترا،لكن أحب أن أقدم لك القاتل الحقيقي.....الآنسة رانيا!

***

عندئذ دخلت رانيا و هي تشهر سكين كبير و تقول في دهشة:

-كي عرفت؟

تباً! لا أمل هذه الجملة أبداً:

-لأنني هيركيول بوارو!

obeikandl.com

عندئذ ضربت السكين بعصاي من يدها ثم ضربتها على رأسها بالعصا فسقطت،فقيدتها سريعا بحبل رفيع كان معي،كان أخي لا يزال مندهشاً فقال:

-رانيا! كيف؟ أليس فريد هو الذي ...

قلت مقاطعا : لا لا لا! فريد مجرد شخص غبي متعصب للأفكار،يمكنه أن يقول معلومات مغلوطة،يتاجر بالدم كي يحصد شهرة أو مصداقية،لكن ليست لدرجة جريمة،القضية بعيدة تماما عن الدوافع السياسية و المذهبية،إنها في الأصل دوافع نفسية .

-نفسية ؟

-نعم،إنها عقدة نقص عند رانيا، سوف أحكي لك الحكاية من البداية، هناك فتاة عندها انعدام تام في ثقتها بنفسها،مرت بتجارب فاشلة كثيرة،تقريباً وحيدة ليس لها أي أصدقاء،و فجأة ظهر فارس الأحلام فريد،آمنت به بشدة و مشت معه في حركته،لكن بسبب انعدام ثقتها بنفسها كانت قليلة النفع جداً في الحركة لأنها لا تستطيع استغلال مهاراتها،وهنا ظهرت هناء،هناء كانت توأمها الناجح،عندها كل مهاراتها و تعرف كيف تستغلها،اقتربت تدريجياً من فريد حتى أحبها و أحبته،لكن هناء روحها روح قلقة تبحث عن الحقيقة،لذا قررت أن تعرف أكثر عن الأفكار الإسلامية ،قرأت لمصطفى محمود و محمد الغزالي و بيجوفيتش و اقتنعت بالفكرة الإسلامية،لكنها وازنت مابين حبها لفريد و حبها للحقيقة و اختارت الحقيقة و حكت لرانيا على كل شيء -باعتبارك صديقتها- و وقتها،عقرب الشر تحرك بداخلك، لو قتلتي هناء و لفقت التهمة لفريد ستكوني حققتي انتقامك -لا أدري أي

انتقام على أي أساس فأنت بالتأكيد مخبولة- ،طلبتي أن تقابليها في هذا الشارع و جهزتي كل شيء و ارتكبتي جريمتك و قمتي محاولة تعمدتي تكون ساذجة لتفليق التهمة للإسلاميين،أي طفل في الابتدائية سيعرف أن القاتل لفق التهمة للإسلاميين و ستتجه شكوكه لأكتر شخص معادي لهم : (فريد) و لقد اقتنعت بهذا فعلاً حتى عرفت أن فريد أعسر –عندما ناولته علبة العصير-،و هذه أفلتت منك لأنك استخدمتي يدك اليمنى في القتل،وقتها بنيت نظريتي أن هناك من حاول تلفيق التهمة لفريد،ولو نظريتي صحيحة فالقاتل سيحاول أن يؤكد شكوكي فيه و هذا ما فعلتيه عندما قابلتيني،و بالتأكيد طلبتي من فريد أن يوصلك للمستشفى وهو وافق غير عالم بنواياك،و أنت من وضع السم وكنت معتمدة أنهم سيروا فريد أمام المستشفى،لكنك أخطئتي خطئين:

واحد: كلامك بسرعة عندما طلبت منك أن تعرفيني بنفسك معناه أنك متوترة و حفظت ما ستقولينه لي و تدربتي عليه عدة مرات،لذا عندما سألتك خارج المحفوظ ارتبكتي.
إثنان: إنك كنتي تمسكين بهاتفك الجوال الذكي طوال الوقت، هذا يعني انك من الناس الذين نطلق عليهم (عبيد الهواتف الذكية) لا تستطيعين أن تتحركي خطوة من دون أن تكتبي على (الفيس بوك)،و عندما رأيت صفحتك الشخصية من عند هناء تأكدت،لا أحد سيضع أغنية (العين الذهبية-تينا ترنر) كل يومين إلا لو فكرة الانتقام مسيطرة عليه بجنون! اللعبة انتهت!

نظرت لي رانيا قليلاً في صمت ثم أخذت تبكي،نظرت لأخي ثم صفعته على قفاه مرة ثالثة!

قال بتألم:لماذا؟

-لأنك غنيت أغنية ليفربول أيها النذل!

***

قال المقدم إسماعيل عبدالرحمن لي و نحن جلوس في مكتبه:

-من كان يصدق أن يحدث هذا؟ في الحقيقة أنا سعيد أن الطب النفسي أثبت أن رانيا مخبولة و لذا لن تعدم،لم أكن أحتمل أن يفعل هذا أحد العقلاء،فضلاً عن أنها صديقتها،إذاً فنحن نعيش في كوكب مليء بالانحطاط.

قلت و أنا أشرب القهوة:سيدي المقدم،أنت تعلم أكثر مني أننا نعيش في كوكب الانحطاط فعلاً.

ابتسم في مرارة و قال:معك حق! أنا أقابل عينات مقززة من البشر يومياً،لا أذكر من قال هذا لكنه محق "لقد زاد عدد المعتوهين على تعداد البشرية نفسه"*.

ثم استطرد:لكن من الغريب أنك بحثت عن الحقيقة أكثر،حسب مرجعيتك الإسلامية كنت ستكتفي و تستريح لو فريد قبض عليه.

قلت باستخفاف:صراحة أنا لا أعتبر فريد هذا نداً لي ولا لأفكاري،أنه كما نقول (حافظ مش فاهم)،ربما هناء -رحمها الله- كانت نداً لي لكنني انتصرت في كل مرة،و هذا ليس عيبها بل لأن الأفكار العلمانية أصلاً فاسدة، لو مات الميت فلن يستطيع طبيب إعادته للحياة حتى لو كان روبرت كوخ أو كريستيان برنار لو فهمت قصدي،ثم إن مرجعيتي الإسلامية ترغمني على إتمام العمل بإتقان،كما أن قدراتي المنطقية و

التحليلية التي جعلتني شكاكاً للغاية تجعلني ألعن ناقد لنفسي،لن أترك شيئاً للظروف و المصادفة.

قال و هو يشعل سيجارة:لقد سمعت أن فريد قد دعاك لمناظرة و أنت رفضت.

قلت:أنا أترفع أن أكون نداً لفريد،بل أنني أترفع أن أكون نداً للعلمانية،إن أي طفل قرأ كتاباً في الفلسفة سيفحمهم في المناظرات،فما بني على باطل فهو باطل.

ثم قمت و صافحته و كدت أنصرف لولا أنه استوقفني قائلاً:

-أحمد!

-ماذا؟

-أرجوك لا تجعلني أراك ثانية!

تمت

---

*القائل هو دكتور أحمد خالد توفيق.

obeikandl.com

القصة السادسة:بلا شهود.

(أتعرف يا معتز؟ أنا ذكي جداً لدرجة أني أحياناً أدهش نفسي!)

والآن ماذا لدينا؟ هل أحكي لكم عن قضية غريق الشاطئ المهجور؟ أم قصر منشا المسكون؟ لا لا لا! أعلم أن معظمكم يريد قصة هادئة قليلاً بها بشر بدلاً من السفر و الذهاب لأماكن مريبة بعد منتصف الليل،حسناً! فليكن هذا عقابكم! لن تنالوا مكان بيتوتي هادئ فيه على الأكثر ١٠ أشخاص بل سنذهب رأساً إلي مكان مغلق به أكثر من ٤٠٠٠ شخص!! أتعرف ذلك الدوار الذي يصيبك في هذه المواقف؟ في البداية رغبة في النعاس ثم تحس أن ساقيك يحملان الكواكب والأقمار ثم يتفصد العرق من جبينك ثم تثور لأي موقف تافه ويحمر وجهك كعرف الديك،وتوشك على الإنهيار باكياً (عايز أروح!!!) ،لا يا صغيري لم يعد هناك مجال للتراجع! فلتصغي الي هذه المرة والمرة القادمة دعوني أختار أنا القصة و لتسقط اللعنة على الديموقراطية!!

***

آه! أيام العيد! انها لا تناسب شخصيتي الانعزالية،تجد كل اقاربك ينحدرون عليك من كل مكان و تفاجأ بأطنان من لحوم الاضاحي تنهمر على رأسك -هذه النقطة تناسب كل الشخصيات- لكني مع ذلك ميال للوحدة،كنت أفكر ان استغل تلك الايام و أشتري كمية من الكتب الأدبية و أجلس في بيتي (كافياً خيري و شري) و أقرأ، لكن بالطبع -وهذه سنة الحياة فلم اغضب- يجب أن يظهر (خازوق) في أي مخطط و من يكون

(الخازوق) سوى أخي الحبيب محدود الذكاء معتز؟! لقد أراد ذلك الأحمق أن ينزل للنزهة في ذلك العيد هو و أمنية و يجب أن يكون معهما شخص كبير و أبي و أمي غارقان لأذنهما في تبادل الزيارات مع الأقارب و والدي أمنية كذلك،فمن يذهب معه سواي؟

في البداية طلب مني لكني رفضت فأخذ يلح علي فقلت له بكل أدب ان يبحث عن (أتخن حيطة) ليصدم بها رأسه و أنني سأتحرك اذا فاز أرسنال بدوري أبطال أوروبا،فذهب ليشتكي للسلطة العليا المكونة من أبي و أمي فقاموا باستخدام القوة الجبرية لكي أذهب مع ذلك الوغد و قد كان.

وقفت الساعة العاشرة صباحاً أمام بيت أمنية أنتظرها أنا وأخي حتى تنزل و أثناء الإنتظار قال لي أخي:

-يبدو أننا عرفنا الفائز بدوري الأبطال،هاهاهاهاهاهاها!!

فقلت له من تحت أسناني:فلتخرس قبل أن أشعل فيك النيران و ألقيك تحت أي سيارة الآن!!!

أخذ يضحك ثم توقف عن الضحك وتظاهر بالوقار عندما نزلت أمنية مع أمها _يالللأطفال!_كانت أمنية كالعادة ترتدي ملابس بيضاء -لا أدري ماذا ستلبس هذه الفتاة في حالات الوفاة! ربما درجة خفيفة من الرمادي!- وبعد التوصيات المعتادة من والدة أمنية رحلنا،فسألتهم أين يودون أن يذهبوا و بعد مشاورات قاطعتها صفعة مني على قفا معتز عندما أقترح الذهاب إلي السينما -من رأى مستوى الأفلام المصرية سيفهمني- و في النهاية قرروا الذهاب الي أحد (المولات) في طرف

الأسكندرية حيث يدخلون الملاهي هناك و وافقت،فذهبنا الي محطة مصر و ركبنا (مشروع) من هناك الي (المول).

وصلنا الي هناك بعد نصف ساعة وكان المكان مزدحم عن آخره، أكثر من ٤٠٠٠ شخص هناك!!! شققنا طريقنا بين الزحام بصعوبة حتى وصلنا الي الملاهي و قطعنا التذاكر و دخلنا و بدأ معتز و أمنية في التشاور لاختيار لعبة،أما أنا فقد آلمتني ساقي -و أنتم تعلمون كم أتشاءم بهذا الألم- فأخرجت علبة المسكن و ابتلعت منها قرص و دعوت الله الا يحدث شيء،ثم نظرت حولي و رأيت الناس المتكأكئين على الألعاب و تخليت كم يربح صاحب المكان منهم و.....فجأة قطع حبل أفكاري صوت عيار ناري والتفتت عيني بسرعة لمصدره فوجدت رجل بدين أشيب في ثياب أنيقة يسقط،و تكهرب الجو و بدأ الجميع يركض لينجو بنفسه!

***

كان مجرد الوقوف مكاني يهدد ثلاثتنا بالموت تحت أقدام ذلك الطوفان البشري لذا تصرفت سريعا وسحبت معتز و أمنية إلي اقرب حائط و وقفنا بعيداً عن الفارين، و بعد عشر دقائق تقريباً سمعنا صوت هادر من ناحية البوابات لم يسكته سوى صوت فتاة تتحدث في الميكروفون الداخلي بهدوء قائلة:

"سيداتي،آنساتي و سادتي : لقد تم تفعيل برنامج الأمن الألكتروني الخامس،في حالة حدوث جريمة قتل يتم غلق جميع الأبواب التي تربط بين مدينة الملاهي و المول و الابواب الخارجية ايضاً لحبس الجاني في المكان دون أن يهرب،لا داعي للذعر فكاميراتنا تؤكد أنه ألقى سلاحه الناري،كما أن رجال الأمن الخمسون منتشرون بينكم الآن و هم

مسلحون...نرجو الحفاظ على الهدوء فالشرطة ستصل في خلال ٥ دقائق"

ثم كررت الكلمات بالإنجليزية و الفرنسية ثم سكت صوتها وبدأ همهمة خفيفة تسري بين الجموع،كان المكان خالياً تقريباً لأن الجميع احتشد عند البوابة،تحركت ناحية الجثة،كانت لرجل في حوالي الخمسين من عمره في ملابس أنيقة،ثم اتجهت لكومة أشياء على الأرض بالقرب منه،كان هناك معطف طويل أسود وقفازين و قبعة و قناع بلاستيكي و مسدس،لا لم يكن هناك كاتم صوت لأ فرصة الجاني الوحيدة للهرب هي الذوبان في الفوضى التي سيحدثها صوت العيار،لقد فهمت! لا أمل في ان نكشف القاتل بالبصمات او أثار غبار البارود! و قمت بفحص الجثة فأخرجت المحفظة -بالطبع بعد ان ارتديت قفاز بلاستيكي في يدي- فعلمت ان هذا الرجل يشغل منصباً كبيراً في الشرطة،كان عميداً، هناك ثلاثة أسئلة مهمة يجب إجابتها:

١-ماذا يفعل هذا الرجل في مدينة ملاهي وحده دون عائلته؟

٢-من القاتل؟و ما دافعه؟

٣-كيف تمكن القاتل من إدخال السلاح إلي مدينة الملاهي أو المول دون ان يكشفه جهاز كشف المعادن؟

وفجأة تعالى وقع اقدام و وجدت حوالي ٤٠ رجل شرطة يدخلون من الباب الفاصل بين المول و مدينة الملاهي،كان قائدهم شاب في حوالي ال٣٥ من عمره وجدني واقفاً فقال لي و هو يصافحني:

-أحمد محجوب غراب أليس كذلك؟ لقد سمعت عنك الكثير! أنا النقيب سليم الشافعي.

صافحته قائلاً:مرحباً يا سيدي،لكن أين المقدم إسماعيل عبدالرحمن.

قال:الرجل العجوز مريض،لقد ارتفعت حرارته فجأة دون سبب و هو في بيته فاتصل و طلب أجازة.

بالطبع أنا أعرف السبب،إنها الرحمة الإلهية! هذا المسكين كان سيصاب بالفالج لو رآني مرة أخرى.

ذهب ليتفقد الجثة لكنه عندما رآها نضبت البشاشة عن وجهه و قال:

-سيادة العميد!!

***

في خلال ٣ ساعات فقط قام سليم بأعمال ينوء بها العصبة أولي القوة،كان عدد الموجودين في الملاهي ٤٧٦ فرد، باستبعاد الأطفال بقى ٢١٢ فرد بالغ قام بجمع بصماتهم كلهم!!! واستخدم في تلك العملية ٥ أجهزة (لاب توب) على كل منها ٥ افراد لجمع البصمات والبيانات على الأجهزة!! لكن ما أصابه بالغيظ أن كل هذا كان بدون فائدة،فاللعين لم يترك أي بصمات،عرفت في ذلك الوقت أن المرحوم كان يشغل منصباً كبيراً في جهاز مكافحة المخدرات،ومنذ أيام تلقى رسالة من مجهول أخبره فيها أنه سيسلمه أدلة للقبض على أحد الشبكات الخطرة في تلك الملاهي في ذلك الوقت،لكن المجهول اشترط أن يأتي العميد وحده،كان الضباط يقومون بمشاهدة تفريغات لكاميرات المراقبة بينما

ضج الناس و أرادوا الخروج،و جاء مسئول من المول يخبر المقدم سليم بضرورة إخراج الناس.

"لا نستطيع حبس الناس هكذا يا حضرة الضابط."

"لن يخرج أحد، القاتل بينهم وسيهرب!"

"الناس هنا منذ أكثر من ثلاث ساعات من دون فائدة، و لن تستطيع حبسهم للأبد،بسبب الضغط من ممكن أن يعتدوا على مرافق المكان،و هذا سيضر المول جداً، و الأبواب زجاجية ستنكسر."

"والمطلوب؟"

"المدير يخبرك أنه يمهلك نصف ساعة و بعدها سيفتح الأبواب"

"هل هذا إرغام؟"

"ليس إرغاماً يا سيدي،لكننا فعلنا ما علينا،و الناس حالتهم أصبحت سيئة جداً."

في النهاية رضخ المقدم لمطالب الإدارة،أما أنا فقد عكفت على محاولة إجابة سؤال بسيط لكنه خطير:كيف دخل السلاح الي المول؟ عندئذ ازعجني معتز مرة أخرى:

-أنت دائما تفكر خارج الصندوق،لماذا لا تحاول مرة أن تفكر داخله؟

و أخذ يضحك وحده على نكتته السخيفة،كدت أن أصفعه،لكن استوقفتني تلك الجملة : "فكر داخل الصندوق!" عندئذ برق الحل في عقلي! ذهبت إلي سليم و طلبت منه أن يريني تفريغ كاميرا المراقبة عند

البوابة،وعندما أراني سرعت المشاهدة ثم وقفت عن مقطع معين و أشرت الي رجل في معطف أسود و قبعة في الفيديو وقلت:

-ألم تلاحظ شيئاً؟

ضيق سليم عينيه ثم قال: هذا الرجل تكرر كثيراً،في خلال ساعة أخذ يدخل و يخرج من البوابة.

-بالضبط،المسدس جاء من الخارج! لكن على أجزاء! القاتل فكك المسدس لقطع و دخل ليجمعها في أي مكان مخفي،و بما أن جهاز كشف المعادن لا يكشف الأجزاء المعدنية الصغيرة مثل هذه الأجزاء استطاع أن يدخله.

-هذا كلام جميل لكن كيف نعرف القاتل؟

-القاتل يستطيع أن يمسح بصماته من خارج المسدس لكن من داخله لا،لو لاحظت في الفيديو أن يده ليست مقفزة.

-تقصد أن.....

وبدون أن يكمل بدأ سليم في فك المسدس بسرعة،ثم قام برفع البصمات من الأجزاء الداخلية و قارنها بقاعدة البصمات التي جمعها و كما يقول الأمريكيون:"لدينا فائز!!"

***

كان الجاني قاتلاً مأجوراً أستأجرته أحد عصابات المخدرات ليقتل العميد و بمواجهته بالأدلة أعترف،في طريق العودة قلت لمعتز:"أتعرف يا معتز؟ أنا ذكي جداً لدرجة أني أحياناً أدهش نفسي!"

تمت

obeikandl.com

القصة السابعة:مفترسات و فرائس.

(لا أريدك أن تنطفئ يا فتى،ابق كما أنت!! لا تدعهم يصلون لروحك،ابهرهم كعادتك و أخرج لهم القاتل من العدم و أخرج لسانك لهم و لي و قل "أيها الأغبياء! كل هذا الوقت لم تدركوا أن فلاناً القاتل؟")

قال الدكتور حسام:فتاة جميلة! من المؤسف إنها انتحرت! لابد أن هناك وغداً حطم قلبها.

كنا نقف أنا و زميلي الدكتور حسام أمام جثة فتاة شابة على طاولة التشريح.

لم أرد عليه و أنا أتفحص الجرح العميق الذي صنعه موس حلاقة في رسغها،ثم قلت:

-إذاً ما هي الظروف مرة أخرى؟

قال:لا شيء! لقد خرجت هي و صديقاتها و ذهبن للشاطئ،ثم قالت إنها ستذهب لتشتري شيئاً ما ثم ابتعدت عنهن و هناك عند مغيب الشمس قطعت شراييها،و مضت نصف ساعة فقلقت إحدى صديقاتها فبحثت عنها و وجدتها،و الآن هي بنا لنكتب التقرير و نصدر شهادة الوفاة!

كان ذلك الجرح في الرسغ الأيسر لا يريحني،لذا قلت:

-دكتور حسام،عليك أن تلاحظ أننا أطباء،لسنا موظفين حكوميين!! لذا لا داعي للتسرع في نظرية خاطئة!

-و ما الخطأ هنا؟ هذه حالة واضحة!

-أنظر إلي الرسغ جيداً!

-ما المشكلة؟

-أين علامات التردد؟ المنتحرين بقطع الشرايين لديهم علامات تردد و هي جروح سطحية و خدوش نتيجة الصراع النفسي العنيف،لا يوجد سوى جرح واحد و هو الجرح القاتل.

قال بلامبالاة مقيتة:و ما المشكلة؟ لعلها لم تتردد!

حسمت الأمر:لا بأس إذاً من حفظ الجثة في الثلاجة لبعض الوقت ريثما نجري تحليل دم.

كان هو مغتاظاً بينما أنا أسحب عينة لأسلمها للدكتور مصباح طبيب التحليل هنا،فهذا يعني بقاءنا لبضع ساعات إضافية،فقلت له بعد أن سلمت العينة:

-لا تجعل شيطان الكسل يتمكن منك! فربما هناك أشياء لم تلاحظها!

قال بغيظ:ليس لدرجة أن نجري تحليلاً لكل متوفى دخل هنا!

قلت بهدوء:بل المريبين منهم فقط.

و هكذا انتظرنا لفترة أحرق هو فيها الإرم غيظاً و جلست أنا أقرأ بهدوء حتى دخل الدكتور مصباح قائلاً في انتصار:

-لقد عرفت نوع السم الذي ماتت به ضحية حادث التسمم!

بدأت أبتسم بينما كان الدكتور حسام يقول في شك:

-أي حادث تسمم؟

قال الدكتور مصباح:ألم تسلموني عينة دم لأحللها؟ لقد ماتت صاحبتها مسمومة بالتأكيد!

عبثاً حاولت إخفاء ابتسامتي بينما كان الدكتور حسام أشبه بمن تم إيقاظه بدلو من الماء المثلج،كان يقلب في ذهنه عدة احتمالات،منها بالطبع أن المتوفاة تناولت جرعة عالية من الدواء المنوم كي لا تشعر بشيء لكن الدكتور مصباح واصل القضاء عليه:

-إنه الصوديوم ثيوبنتال،مخدر شهير قوي للغاية،لا يمكن صرفه دون روشتة،و في الغالب لا يستخدم إلا تحت رقابة طبيب تخدير لأنه في الأصل مخدر جراحي،فهو يستخدم كذلك في عقوبة الإعدام بالحقن الكيميائي في بعض الولايات في أمريكا،لإنه يسبب غيبوبة سريعة تؤدي في النهاية لتوقف عضلة القلب.....

قال حسام فجأة:حسناً على ما أظن أن مناوبتي انتهت!

ثم رحل و لا ألومه،نظر له مصباح باستغراب ثم أكمل:

-....كما إنه هو المادة المعروفة بـ(مصل الحقيقة)،لكن مع النسبة الكبيرة التي وجدت في الدم أظن أن غرضه القتل! الجدير بالذكر إنه يستخدم كمخدر للحيوانات،و أظن أن النسبة التي وجدتها كافية لتخدير الحيوان لكنها تقتل الإنسان.

-إذا فليس من السهل تداوله؟

-لا يمكن حتى استخدامه مع البشر دون إشراف طبيب،هل أخطرت الشرطة؟

-كدت أنسى!

***

اتصلت كالعادة بالمقدم إسماعيل عبدالرحمن رجل الشرطة العصبي،و طلبت منه أن يبحث عن السجل الطبي للضحية،و رحل مصباح و بعد عدة ساعات جاء الرجل ليمارس هوايته في (الشخط) و الشكوى من رؤسائه الذين لا يدركون كم تقدم هو في السن و أصبح كبيراً على التحقيق بهذه الطريقة،ثم يتساءل تساؤلاً فلسفياً عن سبب وجودي في كل جريمة يحقق فيها.

قال الرجل:كانت ستنتهي أنها قضية انتحار عادية للغاية! لكن لا بد أن تحشر أنفك الكبير في كل شيء!!

قلت بسخرية:فلتحمد الله أنني أجد لك عملاً تستحق به راتبك بدلاً من أن تأخذه نظير إيقاف عربيات القصب و مصادرة البصل من بائعات الخضر بدعوى إشغال الطريق العام!

ابتسم الرجل و لم يعلق،إنه على كل حال ضابط شريف،و يجتهد دائماً ليمارس مهنته بأمانة،و لا يقوم بتلك التفاهات التي يقوم بها الكثير من ضباط الشرطة من استغلال للنفوذ أو ممارسة المهنة بقذارة،لكنه يخشى رؤسائه و وشاية زملائه.

سلمني ملف و قال:لقد تعبنا كثيراً حتى حصلنا على ذلك السجل،إن الفتاة لم تشك من أمراض خطيرة من قبل.

-ألم تتعرض لحادثة أو تجري عملية من قبل؟

-كلا..

-إذاً فمن فضلك تعال معي.

في الطريق للثلاجة شرحت له ظروف التسمم و نوع السم،و بعد إخراج الجثة قلت:

-لقد بحثت عن مكان الحقن حتى وجدته.

ثم كشفت عن فخذ الضحية الأيسر و قد بانت فيه الكدمة المميزة للحقن،ثم قلت:

-لكن هناك شيء غريب بهذه الكدمة،إنها تبدو و كأن الحقنة غرزت بعنف.

قال بشك:هل هذا يمكن أن يكون ناتجاً عن المقاومة؟

-كلا،أنا لا أتصور أن يمسك أحدهم بساق فتاة ثم يغرز فيها حقنة دون أن تسمع الجزر اليونانية في الناحية الأخرى من البحر المتوسط صوت صراخها!

-ربما صرعت أو خدرت؟ لكن هذا أيضاً غير منطقي،لماذا يغرز القاتل الحقنة هكذا؟ و لماذا في هذا المكان الذي لا يتم الحقن فيه؟

-هناك شيء آخر،تفحص الملابس!

أخرجت له البنطال الذي كانت ترتديه الضحية و أشرت لنقطة في منطقة الفخذ الأيسر.

قال و هو يدقق باستخدام عدسة مكبرة:

-هذا ثقب،لكنه أكبر قليلاً من أن يكون ثقباً لحقنة عادية.

ثم فكر قليلاً ثم قال:

-لحظة واحدة! لا يوجد حل سوى بنادق (دارتس)!

كانت خبرتي قليلة بالأسلحة و المقذوفات لكني بالطبع أعرف القليل عن تلك البنادق.

قال المقدم شارحاً:إنها بنادق تحوي ذخيرة من حقن مخدرة يتم إطلاقها بضغط الهواء،لا تحدث صوتاً تقريباً،الطلقة عبارة عن حقنة تحوي مادة مخدرة و عندما ترتطم بالجسم تتحرك كرة معدنية داخل الحقنة تدفع السائل للداخل،و تستخدم لتخدير الحيوانات لدراستها أو نقلها لحدائق الحيوان أو للسيطرة على حيوان مسعور أو ثائر،و الصوديوم ثيوبنتال

يستخدم كمخدر في تلك الطلقات،أذكر ذات مرة في شبابي أن شب حريق في أحد المذابح،و هربت الثيران و العجول المذعورة إلي الشارع،و أحدثت تلفيات كبيرة،و وقتها تأخرنا قليلاً في الوصول لكي نتزود ببنادق (دارتس) من مديرية الأمن،رباه! لقد كان سيركاً!!

-إذاً أين تظن أنها تتوافر؟

-إنها موجودة لكنها غالية و تحتاج لتصاريح،كما أن العثور على الذخيرة ليس بالسهولة التي تتصورها.

-أين يمكن أن توجد و يكون الموضوع سهلاً نسبياً للحصول عليها؟

هرش رأسه ثم قال:حدائق الحيوان؟ لكن لا! إن الإهمال هناك جسيم و الحيوانات هناك لا تثور بل تمرض و تموت فقط،ربما يكون لديهم بعض البنادق لكن بالتأكيد صدأت و الطلقات قد سرقت أو انتهت صلاحية المادة بداخلها،و من الصعب الحصول عليها من مديرية الأمن فضلاً أن الذخيرة الجديدة لا تحوي الصوديوم ثيوبنتال.

أمسكت بتقرير مصباح و قلبته ثم قلت:

-وجدتها! الصوديوم ثيوبنتال لا يستعمل غالباً إلا على الماشية و الكلاب،أي أنه بالتأكيد أتى من مزرعة ماشية.

***

عندما كنت أتحدث عن مزرعة ماشية،فأنا لا أعني بالطبع ذلك المكان البائس كالذي يملكه الحاج شبراوي و يضع فيه سبع بقرات عجاف و ثيران مصابة بالأنيميا.

أنا أتحدث عن مكان كالذي ذهبنا إليه أنا و المقدم و يتحاكى عنه أصدقائي البيطريين بإعجاب و حسد،عدة كيلومترات مربعة من المراعي الخضراء،مراكز أبحاث و رعاية بيطرية كاملة التجهيزات،فرق بيطرية،حلب آلي.....إلخ

يطلق عليها اسم مزرعة (نايف) NAEF ،اختصاراً لجملة (المزرعة الأوروبية بشمال إفريقيا)،٢٠ شركة كبرى من شركات اللحوم و الألبان و منتجاتهما في أوروبا قرروا إقامة عدة مزارع لهم بأنحاء العالم لتنويع الإصدارات و خلق مجال أكبر للبحث العلمي البيطري،بالطبع بالتعاون مع الشركات المحلية،فهناك (أيف) AEF بأستراليا و (أوسيف) USEF بالولايات المتحدة و هكذا...

ذراع ذلك الأخطبوط الرأسمالي هنا في البحيرة،مساحة شاسعة من الأراضي الزراعية قاموا بشرائها و إقامة مشروعهم،مدير المشروع هنا هو الدكتور خليل أسعد،أحد عمالقة الطب البيطري في مصر،البيطريون ينظرون إليه كما ننظر نحن لدكتور مجدي يعقوب مثلاً.

و كان هو الرجل الذي قابلناه،رجل في الستين من عمره،أبيض الشعر،قصير القامة،يبدو كأنه كان شاباً وسيماً في صغره.

جلسنا معه و قال المقدم إسماعيل:

-شكراً مقدماً على وقتك يا دكتور خليل،سيسألك صديقي الدكتور غراب الطبيب الشرعي بعض الأسئلة الودية.

قال الرجل بابتسامة متوترة:

-لا بأس.

قلت له:

-حسناً أولاً:هل من السهل شراء بندقية دارتس في مصر بشكل فردي؟

-بل صعب للغاية،هي لا تحتاج لترخيص حمل سلاح عادي،لكن لا بد أن تستخرج تصريحاً من الأمن بشرائها و حملها،يتضمن هذا التصريح سبب الشراء الذي يجب أن يكون بحثاً علمياً في الأغلب،و الباحثون التابعون لمؤسسات علمية هم في الأغلب من يستطيع استخراج التصريح،لكنه صعب إن لم يكن مستحيل للباحث المنفرد.

-ما هي الذخيرة التي تستخدمونها؟

-الصوديوم ثيوبنتال.

-ما هي إجراءات الأمن و السلامة بالنسبة لهذه البنادق هنا؟

-صعبة للغاية،البنادق محفوظة في غرفة خاصة لا يوجد مفتاحها سوى معي و مع نائبي الدكتور أشرف و مع السيد عمار مدير أمن المؤسسة،و هي مع ذلك مقفلة برقم سري لا يعرفه سواي أنا و نائبي،و الباب لا يفتح في الأغلب سوى مرة في الشهر كي يدخل فني يقوم بتنظيف الأسلحة و التأكد إن كانت في حاجة لصيانة و يكون أحد الثلاثة الذين ذكرتهم معه،و عند خروجه يخضع لتفتيش ذاتي،هذا نظام لا يمكن اختراقه.

-متى تستخدمونها إذاً؟

obeikandl.com

-في عدة حالات،إذا أردنا مثلاً استخدامها في البحث أو الكشف على أحد حيواناتنا فأنا أصرح بصرف بندقيتين كحد أقصى،أما إذا حدث هياج – لا قدر الله- للحيوانات فأنا أصرح بصرف العدد اللازم من البنادق لإنهائه.

-و كيف تسترجعونها؟

-يجب أن يسلمنا الطبيب أو العامل البندقية و ذخيرتها و الأبر الفارغة التي استخدمها،ثم يقوم في خلال يومين بكتابة تقرير بسيط يوضح فيه لمَ و أين و متى و كيف استخدم البندقية.

-و تحفظون تلك التقارير؟

-بالطبع،لكي يكون لدينا تسجيل موثق بالاستخدام في حالة تم سؤالنا.

-هل يمكنني أن أرى التسجيل؟

-بالطبع.

قام بالضغط على أزرار في الكومبيوتر المحمول أمامه ثم أداره جهتي فوجدت قائمة طويلة للغاية،قال لي:

-مرتبة من الأحدث للأقدم.

-أي أن آخر استخدام كان من شهرين من أجل إجراء عملية لأحد الأبقار.

obeikandl.com

-مضبوط.

قمت و قام المقدم و قلت مصافحاً الدكتور:

-شكراً دكتور أسعد،أشكرك على وقتك،أنصحك أن تنام جيداً،فأنت تبدو مرهقاً بعدما حدث ما حدث هنا.

وضع يده على رأسه و قال:

-نعم كان أمراً....

ثم استدرك فجأة و قال:

-لكن كيف عرفت....آآآ....أعني ما الذي حدث؟

-لا أدري! أنت الذي قلت لي الآن أن هناك ما حدث هنا!

ثم تركناه و ذهبنا.

***

قال لي المقدم و نحن نخرج:

-ما رأيك؟

-إنه رجل لطيف....

قال مقاطعاً:أنا لا أسألك عنه لأنه سيتقدم لخطبة ابنتي،بل أسألك عنه في القضية!

-اتركني أكمل كلامي! إنه رجل لطيف لكنه يكذب!

obeikandl.com

-و ما فائدة هذه المقدمة المدحية؟

قلت بسماجة:أولاً لا مقدمات مدحية،المقدمات إما طللية أو خمرية،ثانياً أنا أعني أنه لم يتورط في جريمتنا لكنه يتستر على شيء آخر حدث في المزرعة.

-و لمَ يتستر؟

-لأنه أسوأ إداري رأيته في حياتي مثلاً؟ الإدارة علم مستقل و فن و ليس لها علاقة بالمستوى العلمي في أي علم آخر،أن يكون هناك طبيب جيد فهذا لا يعني بالضرورة أنه إداري جيد،لو خيرت في إدارة مستشفى بين طبيب ممتاز و طبيب متوسط سبق له إدارة مستوصفات حكومية سأختار الطبيب المتوسط،هذا الرجل –مع احترامي لقامته العلمية- لا أأمنه على رعاية ثلاثة دجاجات في قفص بأحد الأسطح.

- و ماذا حدث إذاً؟

-هذا ما علينا اكتشافه!

***

أجلس الآن بمكتبي في مشرحة كرموز،أحاول وضع تصور لما حدث،في أي جريمة علينا إجابة ثلاثة أسئلة:

من هو؟ (القاتل)

كيف حدث؟ (الجريمة)

لماذا؟ (الدافع)

في رأيي أن سؤال الكيفية هو الأهم،لأنه يمكنني من إجابة السؤالين الباقيين.

و الآن فلنرتب ما حدث من البداية:

١-خلاف بين الضحية و أحد العاملين بالمزرعة.

٢-يحدث هياج للحيوانات في المزرعة،في الغالب مدبر.

٣-مدير المزرعة ضعيف الشخصية يتستر على ما حدث لإحساسه بخطورة ما.

٤-بشكل ما ينجح صديقنا في الخروج من المزرعة ببندقية.

٥-يقوم بالجريمة و ينتزع الإبرة و يهرب.

نستنتج إذاً مما سبق –كما يقول مدرسو الجغرافيا-:

١-الضحية كانت على علاقة ما بأحد العاملين بالمزرعة.

٢-هذا الشخص قريب جداً من الإدارة و يستطيع التأثير عليها.

و الآن ربما حان الوقت لنتعرف على الضحية بشكل أكبر....

***

قال لي المقدم إسماعيل و هو يحك شاربه:

-الضحية كانت تدعى ميادة هاني،تعمل ككيميائية في شركة أدوية،لا أقارب لها على قيد الحياة على حسب ما نعلم،و تعيش في شقة مع فتاة أخرى تدعى ميسون و تعمل معها في الشركة و يتشاركان دفع الإيجار.

ثم قام ليصب لنفسه كوب ماء من دورق زجاجي:

-ميسون هنا الآن و قد انتهينا من أخذ أقوالها،هل تود تجربة حظك؟

-لا بأس،أشعر إنني محظوظ اليوم!

قادني إلي أحد المكاتب و أدخلني ثم أغلقه،كانت ميسون فتاة قصيرة القامة،سمراء محجبة،ارتديت نظارة القراءة بالرغم إنني لست بحاجة إليها و قلت:

-مرحباً يا آنسة ميسون.

-مرحباً.

-أدعى أحمد محجوب غراب،أنا طبيب شرعي و أود أن أسألك بعض الأسئلة....

-لقد قلت كل شيء للشرطة.

-سأسأل أسئلة مختلفة،على سبيل المثال،هل كنت تعرفين ميادة قبل أن تعملا معاً في الشركة؟

-لا..

-كيف وجدتما الثقة في بعضكما كي تسكنا معاً إذاً؟

obeikandl.com

-كنا مضطرتين لذلك،كنت اضطر أن آتي من محافظتي كل يوم و كانت هي تدفع إيجاراً باهظاً لسكنها، فاتفقت الموظفات المغتربات في الشركة على أن يتشاركوا السكن،ميادة كانت صيدلية،و أنا كنت موظفة،فقد كانت تقبض أكثر مني و لها سكن مستقل هنا في الأسكندرية، لكنها اشتركت معنا قائلة إنها لا تمانع في أن تخفف الإيجار عنها،فسكنت معها و تشاركنا الإيجار،كان هذا من ثلاثة سنين.

-هل أنت متزوجة؟

-مخطوبة...

-و هي؟

-لم تكن تفكر في الزواج مطلقاً.

-و لمَ؟

-كانت تريد تحقيق ذاتها أولاً.

-كيف؟

-لا أود أن أتكلم عن الموتى بسوء،لكنها كانت جشعة لأقصى حد،كانت تود أن تمتلك شركة طبية خاصة بها ذات يوم.

-و لماذا الحديث بسوء؟

-معذرة؟؟؟

قلت مبتسماً:أعني أن هذا قد يعتبره البعض طموحاً و ليس جشعاً.

obeikandi.com

قالت و هي تضغط على كل كلمة:

-الطموح هو أن تفعل كل شيء شريف من أجل هدفك....الجشع هو أنت تفعل كل شيء شريفاً كان أم لا لتصل لهدفك،و أنا لن أقول كلمة أخرى في هذا الموضوع.

-متأكدة؟

-تمام التأكيد!

خلعت نظارتي و قلت مبتسماً:

-حسناً يمكنك الذهاب يا آنسة....

اختطفت حقيبتها و همت بالخروج لكنها سمعتني أقول:

-لم تكن هي مضطرة لفعل ذلك،لكنك كنت مضطرة لفعله....

توقفت هي و قالت لي:

-فعل ماذا؟

قمت و قلت لها:إن أسوأ خطأ سترتكبينه ليس إنك كذبت علي،بل هو إنك اعتقدت إنني أحمق و سأصدق الذي قلتيه!! هل تظنين إننا لا نعلم لماذا قتلت هي؟ و من المسئول عن قتلها؟ نحن نعلم لكن لا دليل عليه،لا في تلك الجريمة و لا في تجارته القذرة! و كنا نتمنى أن تكوني مفيدة لنا،لكن بما إنك لست كذلك فسيكفينا أن نخبر شركتك كي تتوخى الحذر بعد ذلك فيمن تعين من الموظفين.

obeikandl.com

أمسكت بيدي سريعاً لكي تقبلها فسحبتها بسرعة و قالت باكية:

-أرجوك يا بيه! لا تخبروا الشركة! أمي مريضة و أنا من أعيلها،لن أجد عملاً آخر إذا عرف الأمر،والله لم أكن لأفعل ذلك لولا الفقر،أنا كنت أتلاعب بفواتير الواردات فقط لكن المواد الكيميائية و الأدوات كانت ميسون من تسرقها،و الرجل الذي تتعامل معه لم أعرفه قط،لكنها تقول إنه يجرب ما يصنع على الحيوانات،ثم اختلفت معه في نسبتنا ثم....

لم تستطع إكمال كلامها و بكت فأعطيتها منديلاً،جففت دموعها و قالت:

-أنا لا أعلم من هو،أقسم لك إنني لا أعلم من هو.

-إذاً ماذا كان يصنع بتلك المواد؟

-كان يصنع منشطات.

-و كيف كانت تتصل به ميادة؟ يجب أن تساعدينا بأي دليل كي نوقع به!

-كانت تكلمه من هاتف محمول صغير غير هاتفها و كانت تخفيه عني.

-إذاً كيف كانت تقابله؟

قالت بانهيار:لا أدري،أقسم بالله هذا كل ما أعرفه صدقني!

قلت مطمئناً:لو قلت هذا للشرطة الآن فسيخفى الأمر و ستكونين شاهد ملك و لن تحاكمي،و سأحرص على ألا تطردي من عملك.

قالت و قد بدأت تهدأ:حسناً سأقول...

ثم قالت بدهشة:....أقول هذا للشرطة؟ هل أنت وحدك من تعلم بالأمر؟

-نعم،علمته الآن منك!

-أي إنك لم تكن تعلم أي شيء من قبل أن أقول لك الآن؟

-بلى!!!! و الآن ستخبرين الشرطة و إلا ذهبت لشركتك و أحلت حياتك جحيماً!

-أيها الـ.....

قلت مقاطعاً:....عبقري،أليس كذلك؟

***

ضحك المقدم إسماعيل حتى استلقى على مقعده ثم قال:

-لقد أجدت خداعها يا فتى!

قلت في قلق:لكني لست الوحيد الذي أجاد ذلك.

-بمعنى؟

-إنهم لم يصنعوا منشطات،قتل و تهريب و تلاعب من أجل منشطات معظمها أصلاً مصرح باستخدامه و معظم اتحاداتنا الرياضية لا تقوم بكشف منشطات أصلاً؟ و كيف يجرب هذا على حيوانات مزرعة ضخمة ذات رقابة عالية؟ هذا شيء أكبر من المنشطات!

-معك حق لكن ماذا علينا أن نفعل؟

-هل تسمح لي باستخدام الهاتف؟ لدي فكرة و هناك شخص ما يمكنه أن يساعدنا.

obeikandl.com

اتصلت بشخص ما و حدثته و بعد ساعة من الانتظار دخل أحد العساكر و أدى التمام للمقدم و قال:

-الدكتور سيد الششماوي يا أفندم.

-دعه يدخل.

دخل علينا رجل سمين،أصلع الرأس،يرتدي نظارة طبية،صافحني و قال:

-دكتور أحمد،لم أرك منذ فترة طويلة!

-مرحباً بك يا دكتور سيد.

ثم قدمته للمقدم:

-دكتور سيد الششماوي،أستاذ الكيمياء في كلية الهندسة.

رحب به المقدم و دعاه للجلوس،قلت للدكتور سيد:

-دعني أدخل مباشرة في الموضوع،هل تعرف فطر الإرجوت؟

-بالطبع،نحن نستخدمه في العديد من الصناعات الكيميائية.

-أين ينمو؟

-ينمو على العديد من النباتات،لست مهندساً زراعياً،لكن غالباً نجده على القمح و الجاودار و الشعير.

-ما أخطر شيء يمكن صناعته من فطر الإرجوت؟

obeikandl.com

-عقار الهلوسة الـLSD ،يتم استخلاص الإرجوتامين من الإرجوت كيميائياً لينتج الـLSD.

-هل هذا يعني أن أي شخص لديه معمل كيميائي ممتاز و شعير سيء الزراعة يمكنه صنع الـLSD؟

-نعم!

-حسناً أشكرك كثيراً يا دكتور سيد!

انصرف الرجل لأجد المقدم يمسك رأسه و يقول:

-ياللهول! الـLSD!!!! من بعض الشعير الفاسد؟

-و بما إنك رأيت معي أن المزرعة بها حقل شعير فأنا أرى من واجبنا أن نستدعي السيد الدكتور مدير المزرعة،خاصة و أن التجهيزات اللازمة لصنع الـLSD من الإرجوت لا يمكن وجودها في معمل مدرسة ثانوية!!

قال المقدم إسماعيل:ليس الآن،لدي فكرة ما،هل يمكنك أن تريني صورة شعير مصاب بالإرجوت؟

أخرجت حاسوبي النقال من حقيبتي و بحثت عن صور مناسبة ثم أريته المهاميز السوداء الشريرة المتوطنة بين حبات الشعير.

قال:هذا جيد،أوصل حاسوبك بطابعتي و اطبع هذه الصورة.

فعلت ما طلب بينما رفع هو الهاتف و تحدث:

obeikandl.com

-أرسلوا لي الرائد همام المرجوشي....

بعد دقيقة مثل ضابط شاب أمام المقدم،تناول الأخير الصورة التي طبعتها و قال:

-هذا الفطر المتكون على الشعير يعتبر مادة مخدرة،على أي حال إنه ينبت ربانياً،لكن أريد منكم البحث عن حقل كامل به هذا الشعير الملوث،ستمسحون ضواحي الأسكندرية،و أبلغ على مسئوليتي شرطة البحيرة لتفتش أيضاً عن الحقل،أطبع هذه الصورة و وزعها على المشاركين في الحملة،أريد نتائجاً في خلال ثلاثة أيام على الأكثر.

تناول الضابط الصورة بارتباك و قال :

-علم و ينفذ.

-و همام....أخبر مخبرينك السفهاء إن هذا الفطر في حالته الخام شديد السمية ً،كي لا يأكلوه أو يدخنوه،إن نصف أحراز المخدرات تذهب لبطونهم.

-علم و ينفذ.

ثم خرج الضابط و قال لي المقدم و هو يسترخي على مقعده:

-الآن سنصل للمزرعة البريئة التي لا يجيد صاحبها زراعة الشعير،و الذي هو غالباً مكان لقاء المرحومة مع القاتل و لو أكرمنا الله سنجد المعمل هناك أيضاً.

صفقت و قلت:تجلي عبقري نادر منك أيها الرجل العجوز!

ابتسم و قال:أتدري!؟ منذ ظهورك و قد راودتني فكرة تعيينك في مصلحة الطب الشرعي لدينا،لكني لم أفعل و الحمدلله.

ثم نظر لي بضيق و قال:

-العمل معنا يقتل،لا أعني الكلام الرخيص من نوعية (نعمل و أرواحنا على كفوفنا)،بل أعني أن العمل معنا يقتل النفس،يجعلك تهتم بتوافه الأمور التي سيحاسبك رؤسائك عليها قبل حل القضية،و تتغاضى عما يفعله زملائك كي تبقى موجوداً هنا،أحلامك الصغيرة بالدفاع عن المظلومين أصبحت أوهاماً،و أصبح الشريف هنا هو الذي لم تتح له فرصة للظلم أو الذي لم يظلم أحد بعد،تفكيرك ستركبه ملكة التقارير و الأحراز و استنطاق المجرمين بالعنت،مع الوقت تصبح عجوزاً أشيباً يفكر ألف مرة قبل أن يأخذ المخاطرة و يفكر بطريقته بدلاً من النمط البوليسي،إن ما فعلته الآن سيحولني لبطل تكتب الصحف عنه أو إلي أحمق سيخرج لمعاش مبكر،لكنهم قتلوني من قبل فلا يضر الشاة سلخها بعد ذبحها.

ثم ربت على كتفي في حنان و قال:

-لا أريدك أن تنطفئ يا فتى،ابق كما أنت!! لا تدعهم يصلون لروحك،ابهرهم كعادتك و أخرج لهم القاتل من العدم و أخرج لسانك لهم و لي و قل "أيها الأغبياء! كل هذا الوقت لم تدركوا أن فلاناً القاتل؟" ،إن سلطتي أشبه بصولجان،أستطيع أن أضرب به الخدم و الضعفاء،و هو في ذاته زينة،لكنه لا يصلح للحرب.

قلت له:لا عليك،لن أنضم للشرطة في أي وقت،كان يمكنك أن تقول لي هذا مباشرة دون هذا الاستطراد الـ(كافكاوي).

-حسناً ما رأيك في هذا؟ لا تنضم للشرطة لأنني أتشائم من وجهك القبيح!

-الآن هذا هو المقدم إسماعيل الذي أعرفه!

***

بعد يومين كنت في طريقي أنا و المقدم إسماعيل إلي المزرعة التي كانت في ضواحي الأسكندرية.

كانت قوات الشرطة تحيط بالحقل إحاطة المدافعين بليونيل ميسي،و كان هناك رجلاً يبدو كأنه مهندساً زراعياً يرتدي قفازاً مطاطياً و يمسك بأحد الأجسام الحجرية السوداء للفطر،صافحني أنا و المقدم و قال:

-لم أرَ شيئاً كهذا في حياتي!! كل العوامل مهيئة لنمو الإرجوت،الأجسام الحجرية السوداء منثورة بين الشعير،لا تقليم للحشائش،العدوة أصابت جميع النباتات،كما إنني وجدت نباتات مصابة انتزعت منها الأجسام الحجرية.

نادى أحد العساكر المقدم،فذهبنا لنرى ماذا هناك،فوجدناه اكتشف بندقية دارتس مدفونة على عمق طفيف في الأرض،كانت من الطراز الذي يستخدم في المزرعة.

***

توجهنا للمزرعة و قلت للمقدم:

-هناك شيء غير منضبط هنا!!

قال بحنق:حقاً؟؟؟ يا لك من ذكي!! هل اكتشفت هذه المعلومة الخطيرة وحدك أم ساعدك أحد؟

-لا أعني ما حدث،بل ما سيحدث الآن!

-ماذا تقصد؟

-لو صح ما أريد معرفته فالأسوأ قادم!!

دخلنا لمكتب دكتور خليل الذي حيانا بتوتر و دعانا للجلوس،كاد المقدم إسماعيل أن يتكلم فقلت أنا:

-أظن أنك تعرف لماذا نحن هنا!

وضع الرجل رأسه بين كفيه و قال:

-أظن أنني مخطئ إنني لم أخبركم منذ البداية،كنا نشتري العلف في البداية،فلما تضخمت المزرعة بدأنا نزرع الشعير،و حدث خطأ ما،لا أدري كيف،تلوثت مزرعتنا بالإرجوت،نزعنا السنابل المريضة و طهرنا الحقل،و جاء نائبي الدكتور أشرف و قال إنه سيتخلص من الشعير الملوث،و أحضر شاحنة و أخذه.

منذ عدة أيام حدث هياج في المزرعة،و كانت مهزلة اضطررنا فيها لحمل البنادق ،و بعد أن أنهينا الهياج اكتشفنا فقدان أحد البنادق،نصحني

obeikandl.com

أشرف أن أتكتم على الخبر و أمحيه من السجلات،لأنه شك في انتشار عدوى مخية بين الحيوانات.

-و أين يسكن أشرف؟

-سآخذكم إليه!

-حسناً هيا بنا!

نزلنا و ركب المقدم و تأخرت أنا قليلاً فركب دكتور خليل بجانب مقعد السائق و ركبت أنا في الخلف،و انطلقنا....

***

وصلنا للبيت،دققنا الجرس أكثر من مرة،فلما فاض بنا دفع المقدم الباب بكتفه حتى فتحه،قال متأوهاً:

-لقد كبرت على هذا.

دخلنا البيت و درنا في غرفه حتى وجدنا أشرف،لم يكن بخير،كان ميتاً بجرح في رسغه...

قال المقدم:تباً!!!

قال دكتور خليل برعب:هل.....هل انتحر؟

أمسكت بيد الميت و تفحصتها و قلت:

-لا بل قتل!!! لا توجد علامات ترددا نفس الخطأ الذي ارتكبته في المرة الأولى!!

obeikandl.com

كاد المقدم أن يخرج مسدسه لكن الدكتور كان أسرع منه فأخرج مسدساً وجهه إلينا و قال:

-أظن إنني مدين لكم بتفسير....

قلت مقاطعاً:دع الأمر لي،في البداية حدث التلوث بالإرجوت في حقلك،و كانت الخسائر كبيرة و أنت مضطر لتعويضها لأنها لو انكشفت ستطرد من عملك،هنا يأتي لك أشرف ليعرض عليك فكرة الـLSD، لن تكلفك شيئاً سوى تجهيز معمل كيميائي،و كنت قادراً على هذا،و يأتي هو بميادة لتدير المعمل و التوزيع،و تنجح تجارتكم في بدايتها و تربحون أموالاً طائلة تعوض بها ما حدث في المزرعة،لكنكم تستمرون في العمل و تزرعون حقلاً و تلوثوه بالإرجوت،حتى يأتي يوم يحدث خلاف بينكم،هنا تدس أنت مادة ما في مياه الحيوانات فتجعلها تهيج،فتصدر أمراً بالتصدي له بالبنادق،و تحصل أنت على بندقية و تخفيها و تنجح في الخروج بها،تضرب موعداً لتلقى ميادة ثم تضربها بالإبرة و تقطع شراييها،تتعمد أن تلقي لنا بأدلة كي نتهم أشرف في النهاية،ثم تقتل أشرف و كنت تريد أن تجعله (يحاسب على المشاريب).

-متى شككت بي؟

-كانت البداية عندما أريتني السجل في ثوان معدودة،هذا لا يتفق مع مدير مهمل يترك كل شيء لنائبه،ثم كانت عندما حكيت لنا على ما حدث من تلوث بالإرجوت،بالرغم أن هذا لا علاقة له بالقضية التي جئنا لك من أجلها،كل ما كان من المفترض أن تعرفه أنت كان هو أن هناك جريمة قتل،لا علاقة لها أبداً بالإرجوت و ما يفعل به،و كانت القاضية عندما قلت أن دكتور أشرف (شك) في حدوث عدوى مخية،أنت أحد

أفضل البيطريين في مصر و لا تستطيع تحديد حدوث عدوى مخية من عدمها و تترك الأمر لشكوك طبيب أصغر منك؟ كانت هذه كذبة واسعة اليد منك.

-أنت ذكي جداً يا دكتور غراب،للأسف علي أن أقتلكما،الحياة مفترسات و فرائس،و الحيوان الذي يضع أكثر من مخرج لجحره هو الذي ينجو.

-و بالطبع ستضع المسدس في يد أشرف،بالمناسبة لقد نسيت شيئاً مهماً.

-و ما هو؟

-أنا هيركيول بوارو!

ثم فتحت قبضتي فسقط منها الست رصاصات التي كانت في مسدسه!!!

***

"نزلنا و ركب المقدم و تأخرت أنا قليلاً فركب دكتور خليل بجانب مقعد السائق و ركبت أنا في الخلف."

***

أخرج المقدم مسدسه و وجهه للدكتور و قلت أنا:

-بما إنني توقعت كل هذا فقد كان لدي الفرصة لسحب المسدس منك في السيارة بهدوء و تفريغه من الطلقات و إعادته لجيبك،و كما قلت أنت الحياة مفترسات و فرائس،و الحيوان الذي يضع أكثر من مخرج لجحره هو الذي ينجو....

بعد فترة من الصمت قال المقدم:

-ماذا الآن؟

قلت:من المفترض أن يكتب المؤلف عبارة جيدة ينهي بها تلك القصة،لكنه لا توجد له أفكار لها،فلننهي القصة عند هذا الحد!

تمت

obeikandl.com

القصة الثامنة:غريزة الصيد.

(لكني كنت متوتراً كقط،لا أدري لماذا،لكني كنت أشعر بشعور سيء،هذه هي غريز الصيد،أن تشعر بشيء غير مريح أو غير منطقي)

لحظة و سأعود لكم،إن الباب يدق،مرحباً يا هاجر! كيف حالك؟

-أنا بخير يا أحمد!

هذه هاجر آدم يا شباب،صحفية من القلائل الذين يحق لهم مناداتي دون لقب دكتور.

-هل كنت تحكي لهم عن قضاياك؟

نعم كالعادة،انتظري سأصب لك بعض القهوة،ها أنت ذا!

-أشكرك! هل حكيت لهم كيف التقينا؟

لا هذه قصة طويلة و معقدة.

-ربما تحكيها في يوما ما لهم،ما رأيك لو استرددت أنت أنفاسك ريثما أحكي لهم قضية المطعم؟

المطعم؟ هل تقصدين....؟

-نعم هي! كانت رائعة تلك القضية!

الميكروفون معك آنستي!

-حسناً يا شباب فلنبدأ!

***

الساعة التاسعة مساءً،لكننا نبدو كالأموات في مكاتبنا،هذا طبيعي،لقد أتينا الجريدة في الساعة العاشرة صباحاً،و كان من المفترض أن ننصرف عند العصر،لكنها الأعمال المكتبية اللعينة التي يجب أن تنتهي،لذا فنحن حبيسو تلك المكاتب حتى ننهيها.

أرى خالداً قد استسلم للنوم على مكتبه،فيوليت تشرب كوب قهوتها الخامس بلا فائدة،النوم يبدو في عينيها،سعيد يدفن سيجارته في المطفئة التي امتلأت بجثث أخواتها و يشعل أخرى جديدة،حتى رائحة تبغه المغشوش لم تفلح معنا و لا يبدو أنها ستفلح معه،أنا أضع السماعات على أذني و أستمع لموسيقى صاخبة محاولة أن أطرد النوم من عيني،لا فائدة،مجرد النظر لشاشة الحاسوب التي تتراص عليه الكلمات التي كتبتها تشعرني بالغثيان،خلعت نظارتي الطبية و السماعات و أرجعت رأسي للوراء على الكرسي،ها أنا أنزلق للدوامة،أنزلق للدوامـ.....

"مرحباً يا أصدقائي!! كيف حالكم؟"

تباً!! أفزعني الصوت من النوم فوجدت رئيسنا الأستاذ يونس ينظر لنا مبتسماً بعد أن دخل المكتب، بالطبع لقد عاد لمنزله و نام قليلاً و تغدى،كان يبدو منتعشاً كمن استحم في عصير برتقال.

لم يجرؤ أحد على إجابة سؤاله إلا أنا فقلت:

-في شر حال!

ضحك و قال:

-هذه هي الروح يا هاجر! و الآن هناك خبر وصل لنا بجريمة قتل في شارع (.....) و نريد من ....

قبل أن يكمل جملته قمت و كل خلية في جسدي تئن و قلت:

-أنا سأغطيها!

كنت أمشي معه و هو يزودني بالتفاصيل و أنا أشعر بأني مومياء مرضعة حتشبسوت و قد أعيدت للحياة مرة أخرى،أحكمت معطفي حول جسدي و ارتديت قلنسوة صوفية جمعت فيها شعري القصير،و ركبت سيارتي الـ(فيات) المتهالكة و انطلقت و أنا أسمع نقرات المطر فوق سقف سيارتي المعدني،وصلت لمسرح الجريمة و خرجت،تباً!!! لقد نسيت المظلة!!!

أنا أعرف هذا الضابط القصير العجوز الذي يقوم بألف شيء في نفس الوقت،إنه المقدم إسماعيل عبدالرحمن، كان قد منع الصحفيين و المصورين من دخول مسرح الجريمة،لكنني فوجئت به يشير للضابط أن يسمح لي بالمرور،كان متوتراً كإبرة قياس الزلازل،يمسك بهاتفه المحمول و يوجه ضباطه و عساكره،أعرف هذا المنظر، لقد انتزعوه انتزاعاً من فراشه الدافئ و طاقيته و جوربه الصوفيين كي يأتي هنا،استقبلني قائلاً:

-مرحباً يا هاجر! هل تعرفين أين هو غراب؟

-ماذا هنالك يا سيدي؟

رفع الغطاء عن جثة فتاة هناك كدمة على عنقها مما يعني أنها قتلت خنقاً ثم أعاده سريعاً و قال:

-اسمها حنان الشامي،تعمل كسكرتيرة في مكتب مقاولات (جيرونيمو)،وجدت هكذا منذ ساعة،و المطر سيمحو الأدلة بسرعة شديدة،و نحتاج غراب سريعاً لأنه الوحيد الذي يستطيع أن يتصرف من أنصاف أدلة،لقد أتصلنا به فوجدنا هاتفه مغلق،و أرسلت عسكرياً لبيته فلم يجده،أنه حتى غير موجود بالمستشفى أو بالمكتب!! أين سيكون؟

كانت هناك برك دم قد بدأت في التكون بفعل ماء المطر،سألته:

-أين الأطباء الشرعيين؟ و خبراء المعمل الجنائي؟

-أتصلنا بهم فقالوا أن سيارتهم قد تعطلت بسبب المطر،الليلة تبدو كالسيول و هناك عدة طرق مقطوعة، بالله عليكي هل تستطيعين إيجاد غراب؟

فكرت قليلاً و قلت:

-أظن إنني أستطيع!

***

ذهبت للمطعم الفاخر الذي يذهب إليه دائماً بالطبع يجب أن يأكل أحمد محجوب غراب هنا،في ذلك المكان الفخم الغالي الذي تصيب فاتورته بصدمة قلبية.

من قال أن الأبطال ينفرون من الماديات؟ هذا الرجل مادي حتى النخاع!! أوقفني رجل أمامه سجل قائلاً:

-هل هناك حجز مسبق يا أستاذ؟

أستاذ؟؟؟ سأتجاهل هذا:

-لا لكني أبحث عن الدكتور أحمد محجوب غراب.

نظر لي ملياً فكدت أصفعه لوقاحته لكني أيقنت شيئاً،حذائي ذو الرقبة الملطخ بالطين و معطفي الصوفي المبتل و قلنسوتي التي جمع فيها شعري،كنت أبدو كجرذ خارج من بالوعة صرف!

تنحنح معتذراً و قال:

-عفواً آنستي،ماذا يمكنني أن أبلغه؟

-قل له أن هاجر تريد مقابلته.

رفع سماعة الهاتف الداخلي،و تحدث فيها قليلاً و بعد قليل جاء نادل و قال لي:

-الدكتور يقول لك تفضلي.

قادني النادل إلي طاولة في ركن القاعة و أخرج لي الكرسي لأجلس ثم أعطاني القائمة و قال لي:

-الدكتور سينضم لك الآن بعد أن ينهي عزفه.

obeikandl.com

نعم كان أحمد فوق المسرح يجلس إلي البيانو،و يتخير نغمة ثم بدأ يعزف،كعادته يعزف مقطوعة لفاجنر،كان رائعاً و يعزف بتمكن،ثم أنهى و صفق له الحضور ثم جاء للطاولة و قال مبتسماً:

-جو رائع كي تأتي فيه!

قلت له:مكرهاً أخاك لا بطل! بالتأكيد لم آتي من أجل الشوق!

جاء النادل فطلب لنفسه قهوة و طلب لي شاياً و كعك إنجليزي،كدت أرفض فأشار هو للنادل بالانصراف و قال لي:

-ما بك؟ تبدين متوترة!

ضحكت و قلت:متوترة؟ غير إنني محبوسة في مكتبي منذ العاشرة صباحاً و أنهيت أمسيتي مع فتاة مقتولة و المقدم إسماعيل ،بقى له قليل من الصبر كي يخرج طائرات مروحية ليبحث عنك ثم آتي لهذا المكان الغالي و أنا أشبه الشحاذين!

جاء الشاي فصمت ثم قلت:

-أنظر للسيدات و الآنسات هنا! أنظر للفساتين! أنظر للمجوهرات! لم أقع في موقف محرج كهذا في حياتي!!

قال بابتسامة:و ما المشكلة؟ العاملات هم الجميلات يا عزيزتي!

ابتسمت و بدأت أحكي له القضية،المشكلة في أحمد محجوب غراب أنك لا تدرك أبداً إن كان ينصت لك أم لا،فهو ينظر في كل الاتجاهات و يشرب القهوة و لا ينظر في عين محدثه أبداً إلا إذا تحدث هو،ثم ينظر

في الساعة أثناء تحدثك،إنه يشعرك بعدم الإهتمام فتضطر أن تتوقف عن الحديث فتجده ينظر لك قائلاً

"لماذا توقفت؟ أنا أستمع!" في الحقيقة إنها طبيعة فيه و ليس قلة اهتمام.

بعد أن أنهيت كلامي نظر لي و قال:

-اتصلي بالرجل العجوز و طمئنيه!

فعلت ما طلب ثم قلت:

-و الآن ألن ننطلق؟

نظر لي و قال:لماذا ننطلق و القاتل هنا؟

***

كان ينطق الجملة بطبيعية تامة كأنه يقول معلومة عادية،شعرت بقشعريرة تزحف على عمودي الفقري، تلفتت حولي في توجس بينما كان يرشف هو القهوة،هل القاتل بالفعل هنا؟ هل يجلس بيننا الآن رجل ملطخ بالدماء؟ ترى من هو؟ تلك السيدة الأنيقة؟ أم ذلك الرجل الأشيب الوقور؟ أم ذلك الشاب الوسيم؟ قطع أحمد أفكاري قائلاً:

-هل تسمحين لي ببعض الكعك؟

قلت له:بالطبع تفضل،لكن ماذا تعني بأن القاتل هنا؟

هز كتفيه و قال:

-أعني أن القاتل هنا!

obeikandl.com

-كيف عرفت؟

-يا عزيزتي،إنها غريزة الصيد،إن مسألة التفرقة بين الطبيعي و غير الطبيعي ليست سهلة،لقد أحسست بحدوث شيء غريب،صخرة ألقيت في بركة فشعرت باضطراب الماء.

نظرت له غير مصدقة فقال:

-أذكر قضية حدثت منذ سنة في هذا الوقت،كان الجو يشبه هذا.....

***

بدأ يحكي:في ذلك الوقت كنت عائداً من مؤتمر طبي في القاهرة،كنت أقود سيارتي و السماء تمطر فكأنها أرادت تجفيف مياهها،كان الراديو يقول أن هناك عاصفة،بالطبع في تلك المواقف على المرء أن يقود بحرص،و كنت قد استعدت لهذا جيداً فنمت استعداداً لهذا السفر،ظللت أقود حتى وجدت الطريق يغلق أمامي بحواجز و بعض سيارات الشرطة تقف،أوقفني ضابط في لباس مطر و طرق على النافذة ففتحتها له و قلت:

-ماذا هنالك؟

-هل أنت عائد للأسكندرية يا سيد؟

-نعم،هل هناك مشكلة؟

أشار للحاجز و قال:الطريق مقطوع بسبب السيول.

-تباً! هل أعود للقاهرة؟

نظر لي ملياً ثم قال:منذ متى أنطلقت؟

-من ساعة تقريباً..

-إذا أنت لا تعرف أن الطريق قطع أيضاً من ناحية القاهرة!

ضحكت و قلت:هذا جميل! ليلة رائعة لقضائها في أحضان الطبيعة!!!

ابتسم و قال:لن تضطر لذلك يا سيدي!

و أشار باتجاه مبنى بعيد نسبياً من طابق واحد و قال:

-هذه استراحة و محطة بنزين،يمكنك قضاء ليلتك هناك حتى الصباح.

شكرته و خرجت بسيارتي عن الطريق الممهد و قدت حتى وصلت للمبنى و ركنت سيارتي،لم يكن عامل المحطة بالطبع موجود فيها،بالتأكيد هو بالداخل،لاحظت وجود عدة سيارات و عربة نصف نقل،دفعت الباب فوجدت دهليز ضيق طويل على جانبيه بابان أحدهما الحمام الرجالي و الآخر النسائي،مشيت حتى نهايته فوجدت قاعة بها كراسٍ و طاولات و علاقة ملابس خشبية علقت عليها معطفي و قبعتي،فهناك مدفئة كهربائية تحدث تأثيراً لا بأس به،كان عامل محطة البنزين يجلس وراء (بنك) المطبخ الأمريكي الصغير يتحدث مع الطاهي و النادل، كانت القاعة بسيطة و أنيقة،ليست زريبة بهائم كمعظم الاستراحات أو مبالغ فيها كالمقاهي البرجوازية،جلست على طاولة فسمعت الطاهي يقول للنادل:

-فلتسأل الـ(باشا) عما يريد.

obeikandl.com

قام النادل و اتجه لي و أعطاني قائمة ورقية صغيرة و قال:

-مساء الخير يا سيدي،كيف أستطيع مساعدتك؟

-مساء الخير،أريد إذا سمحت شطائر جبن و كوباً من القهوة.

نادى على الطاهي بطلباتي ثم انصرف،و جلست أنا أنتظر مجيئه و أتأمل الناس من حولي،في الركن بجانب النافذة كان هناك رجلان يبدوان كالسائق و (التباع) على العربة النصف النقل المركونة بالخارج،كان أحدهما يتحدث في الهاتف في عصبية و الآخر يحاول تهدئته،يبدو أنهما يكلمان رئيسهما و يخبرانه أنهما سيتأخرا،كان هناك أيضاً شاب مع فتاة على طاولة أخرى يتحدثان همساً،و كان هناك رجل كبير السن و امرأة في مثل سنه تبدو و كأنها زوجته كانت السيدة تعطيه كوبها و تأخذ كوبه هو قائلة شيئاً ما في وجوم،ياللسخرية الأقدار! هل يمكن أن تكون تلك الطاولة مستقبل الأخرى؟

و أخيراً كان يجلس على الطاولة التي بجانبي شاب صغير السن،ملتحي قصير الشعر يرتدي نظارة طبية و يمسك في يده كتاباً، كالعادة أنا من الأشخاص الذين لا يقاومون رؤية كتاب دون معرفة ما هو،ملت بجسدي قليلاً كي أرى العنوان فنظر لي الرجل فقلت له:

-معذرة!

قال بابتسامة:أنت من هواة القراءة أليس كذلك؟

-نعم.

دعاني للانضمام لطاولته و قال:

-لا بأس أنا أتصرف هكذا أيضاً.

و أراني الكتاب،كان كتاب يدعى "الجحيم-دان براون"،لست من محبي دان براون عموماً،بألغازه الرياضية الصعبة التي هربت من أمثالها هرباً في الثانوية العامة،قدم الرجل لي نفسه:

-أحمد عبدالناصر،مهندس و فيزيائي.

صافحته قائلاً:أحمد محجوب غراب،طبيب تشريح و باثولوجي.

أغلق الكتاب و خلع نظارته الطبية و قال:

-كنت في مؤتمر فلكي بالقاهرة لكني توقفت لشرب كوباً من الشاي لكني سمعت أن الطريق قطع،يبدو أننا سنبيت هنا حتى الصباح.

-كان من المفترض أن أسافر صباحاً،لكن حدثت بعض التعقيدات فتأخرت في السفر حتى المساء.

قطع حديثنا دخول ضابط الشرطة الذي أوقف سيارتي،و جلس على كرسي و طلب شاياً و شطائر،و نظر لنا و قال:

-الجو بالخارج لا يحتمله بشر!

قلبت السكر في كوب قهوتي و قلت:

-لكن العساكر الذين في الكمين ليسوا بشراً! أليس كذلك؟

أشاح بيده بمعنى أنه ليس مهماً،و أمسك بهاتفه المحمول،لابد أنه سيفتح الـ(فيس بوك) ليكتب منشوراً عن كم يقاسي من أجل حماية الوطن،أنا أتساءل إذا كان العساكر لديهم هاتف محمول كهذا أصلاً!!!

لابد أن صديقي الفيزيائي ليس لديه أيضاً هاتف كهذا.

لكني كنت متوتراً كقط،لا أدري لماذا،لكني كنت أشعر بشعور سيء،هذه هي غريز الصيد،أن تشعر بشيء غير مريح أو غير منطقي،بدأت أتلفت حولي في توتر فقال لي عبدالناصر:

-ما بك؟

قلت:لا شيء،لكن هناك شيء خاطئ هنا!

هنا سمعنا صرخة رفيعة،نظر لي عبدالناصر و الضابط في دهشة،فقلت و أنا أقوم:

-ماذا تريدون؟ صوراً؟ فلنرى ماذا هنالك!!!

كانت السيدة العجوز تمسك بتلابيب التباع و هو يحاول دفعها عنه برفق،و كان الرجل العجوز ملقياً على الأرض،قلت:

-افسحوا لي أنا طبيب!

تفحصت النبض،لا شيء،الرجل توفاه الله!

ثم تفحصت جيوبه و لم أجد المحفظة أو أي نقود،وجدت فقط أمبول أنسولين فارغ،ثم بدأت في تفحصه،نعم، جلده متعرق ،إنها غيبوبة سكر

بسبب انخفاض نسبة السكر في الدم لم يتم علاجها فأفضت لموت الرجل،كان حذاء الرجل ملوث بالطين و شعره و كتفاه مبتلان.

كانت السيدة تتهم الرجل بقتل زوجها و سرقة نقوده فقلت لها:

-سيدي إن زوجك توفاه الله بنوبة سكر،هذا....

صرخت في وجهي قائلة: أنا أعلم فأنا طبيبة! لقد نسي سكاكره في السيارة فذهب ليحضرها فاعترضه ذلك النذل ليسرقه فمات!

نعم! من البداية كنت أشعر بشيء خاطئ! هنا تقرع طبول الصيد،هنا يبدأ جر الحيوان لمصيره المحتوم،هل تعرفين يا هاجر أن طبول الصيد الإفريقية و الأمريكية التي كانت تقرع لم تكن لتشجيع الصيادين؟ بل كانت تضرب لإخافة الحيوانات فتهرب عكس اتجاه الصوت فتقع في الشرك المنصوب،لهذا لم يكن مجرد قرع و ضرب،بل نغمة معينة تعلو حيناً و تخفو حيناً،.الحيوان يعتقد أنه و الصياد لاعبان على نفس الطاولة،لكن الصياد هو المتحكم بمقاليد اللعبة،لقد هرعت للداخل و عبد الناصر خلفي و هو يقول:

-ماذا هنالك؟

أمسكت بفنجان القهوة الذي كنت أشربه و أكملت شربه بهدوء قائلاً:

-القهوة ستبرد!

-هل تمزح؟

-أبداً!!

ثم أمسكت بكوب قهوة الرجل و قلبت البقايا ثم قلت:

-كما توقعت!

-ماذا؟

خرجت و سألت الطاهي:

-هل جاءت تلك السيدة للمطبخ و طلبت شيئاً؟

حك رأسه و قال:

-نعم،لقد طلبت هي و زوجها قهوة مضبوطة و قهوة سادة،ثم عادت لي لتخبرني أن تجعل الأثنين سادة.

قلت للضابط:من فضلك أقبض على هذه السيدة!

قالت السيدة:ماذا؟؟؟

قلت:الأمر لا يحتاج لدكتوراه من أوكسفورد يا سادة،لقد مات الرجل بانخفاض مستوى السكر في الدم،بفعل فاعل!

قال الضابط:لحظة واحدة،هذا يعني أنه تم إعطائه جرعة زائدة من الأنسولين،كيف دون علمه؟

-ليس من الضرورة إنسولين،هناك أدوية ضغط تسبب انخفاض مستوى السكر،دعني أتخيل أنك تجلس على طاولة مع مريض سكر تريد قتله،ماذا تفعل؟ ستطلب كوبي قهوة أحدهما مضبوط و الآخر سادة له،ثم ستذهب للطاهي لتخبره أن يجعل الإثنين سادة،ثم عندما تأتي ستسقط في

obeikandl.com

كوبك قرصين من الدواء خفية،ثم تتذوق القهوة ثم تتظاهر أن هذه السادة و ستقول له أن تستبدلوا الكوبين،و للقهوة خصوصاً مرارة عالية لدرجة تمكنني من إغراق جثة فأر متعفن في الكوب دون أن يظهر له أثر،خصوصاً مع قهوة تشبه الوحل كتلك!

تنحنح الطاهي في إحراج و استطردت:

-القتيل لم يتناول أي وجبة ليأخذ الأنسولين،لهذا قد كان متأكداً أنه في صحة جيدة،يمكنك وقتها أن ترسليه كي يأتي لك من السيارة بأي شيء،إن قدمه بها طين حديث و هذا يعني أنه خرج و لم يدخل الحمام كما قلتي،بعد قليل داهمته النوبة،بحث في جيوبه عن السكاكر لكنه لم يجدها،و بحث في السيارة فلم يجدها،هذا لأنك جعلتيها كلها في حقيبتك،و هو لم يهتم بذلك،فسواءً كانت معك أم معه فلا فرق،ثم أنك قبل أن يخرج طلبتي منه إعطائك كل النقود و المحفظة كي لا يسرقه أحد بالإكراه،ثم ستتهمين أي أحمق تعس يخرج الآن.

بكت السيدة و قلت:

-و كالعادة....أنا هيركيول بوارو!

***

قلت لأحمد و أنا آكل الكعك:

-قصة رائعة! لكن ما الدافع؟

-مشاكل عائلية،لقد كان في نيته الزواج عليها.

-كيف تفعل هذا يا أحمد؟ أنا أعني أن بمصر آلاف رجال الشرطة و وكلاء النيابة من مختلف الرتب،لكن لا أحد يلاحظ هذا و لا أحد يستطيع أن يفعل هذا!!

-هناك سببان،أولاً افتقار بعضهم لغريزة الصيد نتيجة للأعمال المكتبية المريحة أو العمليات التافهة مثل إيقاف عربة قصب أو كشك سجائر باعتبارها تعديات.

و الثاني هو إفتقارهم العقلية،و هذا الفرق بين الصياد و كلب الصيد،الإنسان يستخدم شتى الأدوات و الأشراك كي يضع الحيوان في المكان الذي يريده بالضبط ليصطاده،بينما كلب الصيد يطارد الفريسة حتى تتقطع أنفاسه و ينفجر قلبه،إنه يبذل مجهوداً يكفي للإحضار عشرات الفرائس لكنه يظفر بواحدة،إن رجال الشرطة _حتى المجتهدين منهم_ يقومون بنفس العمل من توجيه الأسئلة المحفوظة سابقاً،و إرسال رجال المعمل الجنائي،لكنهم لا يظفرون بطائل في أغلب الأحيان،لأنهم يتعاملون مع كل المجرمين على أن لهم نفس العقلية و التفكير و التعليم و الدوافع و و و و و.....

بينما لكل جريمة خصائص مختلفة.....آه معذرة لقد أخذني الوقت! أستئذنك لثانية كي أقبض على القاتل!!!

لا أدري لماذا رددت عليه بعفوية قائلة:

-خذ وقتك!

ثم انتبهت لما قاله بعدما قام بهدوء و توجه لرجل عجوز وقور و قال:

-من فضلك هل يمكنك أن تأتي معي؟ لا يجب أن نتأخر على الشرطة!

نظر الرجل له في ذهول شديد ثم قام من كرسيه و حاول الهرب لكني قمت و عرقلته بساقي سريعاً فقال أحمد و هو يتصل بالشرطة:

-غبي!!!! لو كان احتفظ بهدوء أعصابه لربما أفلت! لكنه مبتدئ!

بعد أن طلب الشرطة استطرد:

-ألم تفكري يا هاجر قط كيف يكون هناك دماء و هذه جريمة خنق؟ ببساطة كانت هناك عملية إجهاض دون اللجوء لطبيب،ربما تكون قد ارتديت مشمعاً يحميك من الدماء لكن هذا عيب كل المعاطف يا صديقي العزيز،إنها تنحسر دائماً عن الأكمام.

ثم أمسك بيد الرجل و شمر كم البذلة فظهر الدماء تلوث كم القميص الأبيض.

جاءت الشرطة سريعاً و قبضوا على الرجل،لكن هناك نقطة لا أفهمها قط....و كأنه يقرأ أفكاري قال أحمد:

-هاجر،ألا تلاحظين أنك قد سمنتي؟

-ماذا؟

-لماذا لم تأتي هنا من مسرح الجريمة مشياً بدلاً من سيارتك الخربة،هذا حتى أفضل لصحتك!! هناك أزقة صغيرة ستوصلك للمطعم في خمس دقائق،فلا يلاحظ أحد غيابك كما فعل ذلك الرجل،لقد كان موجوداً أثناء ارتكاب الجريمة ثم تحجج بالذهاب للحمام!!!

-ما أنت يا أحمد!!!؟

قال بينما كانت صوت الأمطار بالخارج يخفت:

-أنا هيركيول بوارو!

و ابتسم بينما بينما نقرات المطر تتباطئ و تتباطئ حتى توقفت.

تمت

obeikandl.com

خاتمة

(لا بد منها مع إني أكره الخاتمات)

أرى بعضكم يتثاءب،بالتأكيد أسلوب هاجر في الحكاية أصابكم بالضجر!

-أيها الـ....!

فقط أمزح يا عزيزتي! و أرى البعض الآخر يقول لي:"تكره المقدمات! تكره الخاتمات! أنت تكره كل شيء!"

في الحقيقة نعم! على المرء ألا يكون عنصرياً،لذا أكره الجميع! –عدا أخي و هاجر و المقدم إسماعيل،هؤلاء يقعون في منزلة حيوان الأبوسوم في قلبي-

-حيوان الماذا.....؟

لا تهتمي! هل تريدون كوباً آخر من القهوة يا شباب،لا تتحمسوا فالترمس نفد كما نفدت جعبتنا من القصص لهذه الليلة،تعالوا معي لمكتبي لتشربوا كوب قهوة أخير قبل أن ترحلوا،تفضلوا من هنا.....

-صورة من هذه؟

لو غيرك قالها يا هاجر! إنها بالطبع صورة العبقري روبرت كوخ أزين بها الجدار،تفضلوا القهوة.

حسناً يبدو أننا تأخرنا و يبدو أن والد الفتاة منهار فلن يحضر.....

obeikandl.com

لحظة سأرد على الهاتف،آلو.....نعم أنا دكتور غراب.....حسناً أنا قادم.

لقد جاء الوالد يا سادة،هناك قلوب حزينة عندي هذه الليلة _كما قال ديكنز_ حسناً علي أن أنصرف،أنا أثق بكم،لذا فاشربوا القهوة و غادروا لكن لا تنسوا أن تغلقوا النور و أن تقفلوا الباب وراءكم جيداً،لا أريد أن يدخل دكتور حسام مكتبي ليحضر هذا المرجع أو ذاك ليفسد نظام المكتبة بالداخل،تصوروا الفظاعة!!!

آخر مرة دخل مكتبي وجدت كتاب من أصدار ١٩٩٧ بين الكتب إصدار ٢٠٠٨!!! إلي هذا الحد بلغ الاستهتار و الفوضى!!

حسناً سأذهب أنا قبل أن يأتي المدير ليأكلني،وداعاً.....

د\أحمد محجوب غراب

رسمياً طبيب شرعي في مشرحة كوم الدكة-الأسكندرية

فعلياً محقق يكشف أسرار الجرائم

doelkandl.com